القبائل لها معايير خاصة في مسألة الزواج – ومن المستحيل أن يتزوج بنا من عنده نقص في هذه المعايير ولو بقدر يسير، ومن هذه المعايير (المفاضلة في النسب) بمعنى أنه لا يتزوج من قبيلتنا من ينتمي إلى قبيلة أقل نسباً منا ، وإن كنت لا أعرف هذه الأمور ، إلا أن الآباء والأجداد متمسكون بها ، وهي بالنسبة لهم أهم من أي شيء في الحياة .. إن معيار المفاضلة هو الذي عصف بحياتي ومستقبلي كامرأة من حقها أن تنال حقها في الحياة، وتشبع رغبتها في تكوين أسرة وبيت ،وتنعم بالأمومة) ..

لعمرك لا تترك التقوى اتكالاً على النسب

فقد رفع الإسلام سلمانَ فارسٍ ووضع الشرك الشريف أبا لهب .

(٤) **ارتفاع سن الزواج لدى الشباب والفتيات** : ومن الأمور التي لعبت دوراً كبيراً في هذا الأمر ، وأدت إلى تأخر سن الزواج لدى الطرفين ، وبالأخص الشباب هو مرحلة الدراسة الثانوية والجامعية ، فإنها تمتد حتى ما بعد العشرين إلى الرابعة والعشرين ، ثم فترة الخدمة العسكرية التي تمتد سنتين أخريين ، ثم فترة البحث عن الوظيفة أو عمل ، وماذا قبلها ، قبلها شروط الأهل في كثرة المهر أو المنزل المستقل ، وأثاث المنزل . ولذلك ينصح الشباب وأهلوهم بالإعتماد على حرفة أثناء الدراسة، والأهل بعدم المغالاة في المهور، والاستقلال في الدور للعروسين ريثما ييسر الله على الزوجين مسكناً ملائماً، وأثاثاً موافقاً . وقد كانت عادات الجيل السابقة أن تشارك المرأة في تأثيث بيت الزوجية بمهرها المقدم ، فأصبح الآن في الغالب المهور غير مقبوضة ، وهذا مما يثقل التكاليف على الزوج ، فيا حبذا لو عاد الأمر إلى المشاركة في تأثيث المنزل ليخفف الحمل على الزوجين .[1]

في اختيار عروس العمر والحظوة بالزوج الصالح ؟

ما بعد الملاحظات الهامة : كان علماؤنا حكماء ، فطناء ، خبروا الحياة وظروفها ، وعلى ضوء الوحي الهادي إلى السعادة في العاجلة والآجلة ؛ بَيَّنُوا القواعد الأساسية والمبادىء الصالحة لاختيار الزوجين ورتبوا الأحكام التي تكفل استمرار حياة الأسرة قبل بنائها وبعد بنائها ، ومن هذه الأحكام ما هو واجب مفروض ،ومنها ما هو مستحب مرغوب ،ومنها ما هو صيانة لرباط الزوجية حتى لا تنفصم عراها ، وتتفكك أواصرها ، فكان تركه حراماً أو مكروهاً .

لذلك على ضوء الأحكام الشرعية ؛ ولابد في كل مجتمع ما ؛ سواء سار على نور الوحي الإلهي الواضح المنير ، أو على آراء مفكريه ومُنَظِّريه،لابد لكل مجتمع من قواعد وأحكام تضبط علاقات الأفراد ببعضهم في الأحوال الشخصية والمعاملات، والأخلاق والسلوك ، فتكون هذه الأحكام والقواعد سياجاً وصيانة للأسرة وحفظاً ورعاية للمجتمع ، وسوراً للأمة من عوامل التصدع والانهيار ..

ولهذا كانت أحكام الشرع الإسلامي في بناء وصيانة أحوال الأسرة كما في سائر النواحي الأخرى العبادية والمالية في قمة الأحكام الناظمة لهذه الشؤون وأيسرها وأعدلها ، وعليها المعول لا على غيرها لأنها تنزيل العليم الخبير {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (١٤) سورة الملك ..

---

[1] – نقلنا بعض هذه المعوقات من كتاب إرشاد الخاطب والمخطوبة لمؤلفه عادل فتحي عبد الله نشر دار الإيمان الإسكندرية لعام ٢٠٠٢ ص٤٢ وما بعدها بتصرف واختصار .

سواء كانت الأحكام الأخرى من الشرائع السابقة المنسوخة أو من وضع الناس الذين استقوها من بقايا الشرائع ، أو من أفكار السابقين من مفكرين وفلاسفة وحكماء ..

وعليه فحَرِيٌّ بنا ؛ آباء وأمهات وأزواج وزوجات ، وخاطبين وخاطبات ، أن نتعرف على هذه الأحكام التي تحفظ لنا حقوق الزوجين ، وتبين لنا واجبات الأبوين ، وتفصل لنا آداب العلاقة الأسرية فيما بين أسرتين وما ينشأ عن ذلك من رباط وثيق نتيجة عقد الزواج .. وإن من أولى ما حرص عليه الشرع في بناء الأسرة وتأسيسها وصيانتها ما يلي :

(١-) الاختيار الصالح للزوج والزوجة

ففي البحث عن الزوجة وكذلك عن الزوج ؛ تُراعى أهم الأوصاف ألا وهي **العقل** المخرج عن دائرة العته والجنون ، ثم **الدين** الحاجز لصاحبه عن الفسق والمعصية وعن الخروج عن طاعة الله وطاعة الزوج ،

ثم بعد ذلك **السلامة من العيوب الجسمية** التي تخل بالقيام بأمر الزوجين من أمراض سارية ، أو منفرة، فيها تشوه خَلْقي.

كما أن **البكارة** في الزوجة (وهي أن لا يكون للمرأة سبق زواج من آخر) أمر مستحب مطلوب،مرغوب فيه طبعاً وشرعاً، وكذلك **الأصل الطيب**، والأرومة الحسنة في النسب وكرامة الأسرة ، المساوي لنسب الزوج أو المقارب له ..

فإذا زان هذه الصفات في الزوجة **جمال** يَسُرُّ العين **وخُلُقٌ** تسكن إليه النفس ، فقد حصل حد الكمال المرغوب في الزوجة الذي يرغب فيه العقلاء ، ويطلبه الفضلاء ، وبيَّنه الحكماء والفقهاء ..

وما لا يدرك كله لا يترك كله، وقد تكون هناك صفة في الزوجة تنوف على أخرى وتفضل على غيرها فيُغْضَى الطَّرْفُ عن مطلب آخر مرغوب فيه لحصول هذه الصفة الأعلى، وكما أن هذا الاختيار مرغوب في الزوجة فإنه مرغوب في الزوج أيضاً أن يكون الخاطب أو المخطوب من قبل أهل الفتاة من **ذوي العقل والدين والأرومة الطيبة** التي ليست أدنى من أرومة الزوجة ، فإن من تجمعت فيه خصال العقل والدين والخلق الرصين فهو الكفؤ المناسب ، والضالة المنشودة ..

أما ما يعتبره أهل زماننا من شرط المال والغنى والمنصب والجاه ، أو ما يشترط فيه على الزوج من كثرة المهر وفخامة الأثاث والاستقلال عن الأهل في المسكن فإن هذا ليس من مقومات السعادة ، وليس من عناصر الكفاءة بين الزوجين ..

كما أن الشرع استحب أن تكون الزوجة أدنى غنى وأقل ثروة من زوجها حتى لا تستكبر عليه في نفسها ، ولا تتعالى عليه وبالتالي حتى لا يطمع في مالها أو يمد عينيه إليه، وهو أحرى أن يراعي في زماننا الذي كثر فيه طمع الأزواج بمال الزوجات.

ولنستعرض فيما يلي ما ورد عن الحق سبحانه من آيات بينات تبين لنا صفات الأزواج الصالحين والزوجات الصالحات،وما يجب أن نراعيه في الاختيار مما ذكرناه آنفاً مجملاً وذكره الله ورسوله ﷺ مبيناً مفصلاً :

أولاً : ففي القرآن الكريم الهادي إلى أفضل ما تصبو إليه نفس الإنسان ، قص علينا الحق سبحانه قصة زواج سيدنا موسى من ابنة الرجل الصالح في (مَدْيَنْ) في سورة القصص عندما هرب من فرعون وتوجه تلقاء مدين ، وجلس في ظل جدار يستريح من وعثاء السفر ، فرأى تلك الفتاتين واقفتين على استحياء مع أغنامهما تحفظانها ،وتنظران فراغ بئر القرية من الرعاة المجتمعين حوله يسقون أغنامهم، فقال لهما : ما خطبكما ؟ ما شأنكما واقفتان لا تسقيان ؟ قالتا: لا نسقي حتى يُصْدِرَ الرعاء وينفضوا منصرفين عن البئر ومالنا أخ يعيننا على مزاحمة الرجال ، وأبونا شيخ كبير ، فسقى لهما ثم تولى إلى الظل الذي كان يستظل فيه داعياً الله سبحانه أن يغنيه عن الناس فهو الفقير إلى رحمته تعالى.. ووصفت تلك الفتاتان لأبيهما ذلك الشاب الغريب القوي الذي سقى لهما وأراحهما من عناء التعب ، ومزاحمة الرعاء ، وقالت إحدى الفتاتين يا أبت استأجره لنا يرعى أغنامنا ويسقيها لنا ، وأَرِحْنا من مشقة الرعي والسقي ، فرأى الأب الصالح أن خيرَ حَلٍّ لذلك هو

أن يخطبه زوجاً لإحدى ابنتيه، والمهر الذي يدفعه لا يملكه موسى عليه السلام بالطبع ،فهوَّنَ عليه الأمر وجعل المهر رعاية أغنامه ثمان سنوات أو عشراً ... ولنستمع إلى القصة التي يرويها أصدق القائلين : قال سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ(٢٦) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ(٢٧)قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ(٢٨) ﴾. القصص

فواضح من هذا القصص القرآني أن الصفة المحبوبة والمطلوبة في الرجل الكفؤ في زواج كريمة الإنسان هي (**القوة والأمانة**) وهما خلاصة **الخلق والدين** ، وهذا أهم ما يطلب في الرجل ليكون زوجاً كفؤاً للمرأة ، أما المال والغنى فإنه من الله سبحانه وهو الذي يهبه لمن يشاء ويمنعه عمن يشاء ، وليس صفة أساسية في اختيار الزوج والزوجة كما قال سبحانه:﴿ وأَنكِحوا الأيامى منكم ، والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم ﴾ النور ٣٢

والأيامى جمع أيِّم وهي كل امرأة لا زوج لها ، سواء كانت بِكْراً أم ثَيِّباً ، والإماء ج: أَمَة وهي الرقيقة .

وهنا لفت الحق سبحانه النظر إلى أن (الصلاح) هو الصفة المطلوبة وليس (الغنى)

فإن يكن طالب الزواج صالحاً فقيراً فالله يغنيه من فضله ..كما أن الحق سبحانه طلب من الخاطب الذي لا يجد مالاً يتزوج به أن يستعفف ويصبر حتى يغنيه الله من فضله ،وهذا من التقوى التي تجعل له مخرجاً ، قال سبحانه :﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله ﴾ النور ٣٣

وقد يقال هذا في صفات الرجل المطلوب أن يكون زوجاً ، أو الخاطب الذي يطلب يد فتاة ، فما شأن المرأة وما هي الصفات المطلوبة فيها ؟ ولا نجد هنا أروع من الوصف القرآني للمرأة بصفتها زوجة تسكن إليها النفس ويميل إليها الرجل، لافتاً النظر إلى أنها جزء من هذا الرجل فهي قسيمة جسمه ، وبغية نفسه ، وهل هناك تقرير للحقيقة وعناية بها ورعاية لها أروع من أن توصف المرأة بأنها جزء من الرجل ، وبأن الزوجة بعضٌ من نفس هذا الزوج ؟!

فلنستمع إلى هذه التقريرات القرآنية قال سبحانه :﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾ النساء ٦

وقال سبحانه في سورة الروم ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾الروم ٢١ ، وقال سبحانه :﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات ، أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ﴾ ٧٢ النمل .

ووصف الله سبحانه الزوجات المؤمنات بأنهن صالحات عابدات ، حافظات لأموال أزواجهن وأعراضهن حال غياب الزوج وحضوره ،كما في سورة النساء التي بَيَّنَ الله فيها قوامة الرجل على الأسرة وبين فيها بعض صفات الزوجات المؤمنات

وصفات الأخريات اللواتي لسن بهذه المرتبة من الصلاح فقال سبحانه :﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله به بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع ... ﴾ الآية ٣٤ النساء

وقال سبحانه وتعالى في سورة النور :﴿ والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ﴾ ٢٦

فهذه الآيات بعض ما يناسب هذا المقام مما ذكره الله سبحانه في آداب اختيار الزوج أو الزوجة ..

ثانياً : في السنة النبوية ولنستمع إلى الحبيب المصطفى ﷺ ، الذي هو الزوج المثالي ، يبين لنا هذه الصفات التي نختار المرأة بسببها وما يرغبه لنا هذا الرسول الكريم ﷺ فقال فيما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة ﷺ (تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك) فما أشفق هذا الرسول الكريم بك أخي الشاب الذي تبحث عن زوجة تسكن إليها وتجد طمأنينتك عندها ؟ ! فإن هذا الرسول الكريم ﷺ يعرض لنا بعض الأوصاف التي يرغب بها الناس في المرأة فمنهم من يرغب في المرأة الغنية (ذات المال) ومنهم من يرغب بذات الحسب (النسب) ومنهم من يفضل الجميلة ومنهم من يبحث عن ذات الدين [1] **وأنت فما الذي تختاره** ؟ هل تريد من الرسول الرؤف الرحيم أن يختار لك ؟ نعم إنه اختار لك ذات الدين ، فاظفر بها ، فإنك واجد في ذات الدين كل وصف مرغوب وغنى مطلوب وهذا أكرم وصف كما قال الله سبحانه :﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .

ونظراً لأن أعمارنا في الحياة الدنيا قصيرة ، والدنيا كلها بما فيها من شهوات وأموال وبنين ، متاعٌ يستمتع به ثم ينقضي وينتهي ؛ فقد وجه انتباهنا الرسول العطوف ﷺ إلى أن أفضل ما في الدنيا من متاع هو المرأة الصالحة فقال فيما رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما (الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة) .

وقد تسأل عزيزي **ما هي مواصفات المرأة الصالحة** ؟ وما هي الشهادة التي تحملها ؟ أو العمر المناسب لها أو الثياب التي ترتديها ؟ فقد أراحنا خير الأزواج ، صاحب الخلق العظيم ، من عناء البحث فاعتبر المرأة الصالحة خيراً من الكنوز الذهبية التي يتنافس في اقتنائها الناس فقال لسيدنا عمر فيما رواه أبو داود :(ألا أخبرك بخير ما يكنـــز المرء ؟! المرأة الصالحة ؛ إذا نظر إليها سرته وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته).

وفي رواية لابن ماجة (ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة ؛ إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله) . وفي رواية للإمام أحمد سئل عليه الصلاة والسلام ؛ أي النساء خير ؟ قال : التي تسره إذا نظر ، وتطيعه إذا أمر ، ولا تخالفه في نفسها وماله بما يكره) .

فاعجب عزيزي الزوج مما يكتره الناس من متاع وحلي ، وجواهر ولآلىء وأثاث ورياش ، وانظر بعقلك الواعي إلى هذا المتاع الزائل واحرص على هذا الكنز الباقي الذي أرشدنا إليه الرؤوف الرحيم بصفاته الأربع في المرأة الصالحة :

1 – **فمنظرها جميل** يسرك كلما رأيتها ؛ فهي في جسمها إما جميلة أو متجملة في ثيابها وهيئتها وزينتها ، وكلامها ، وقوامها، يضاف إلى هذا :

2 – **طاعة للزوج** المحب في غير معصية لله ، تجعل حياته سعادة وطمأنينة ، واستقراراً في نفسه يُضَمَّان إلى :

---

[1] – وهذا لا يعني أننا إذا خُيِّرنا بين ذات دين جميلة ؛وبين ذات دين غير جميلة ألا نختار الأولى، فإن الوصفان المرغوبان أحب من وصف واحد،وثلاثة خير من اثنين،ولكن إذا كانت جميلة غير ذات دين ، وذات دين غير جميلة فمن تختار؟ فالاختيار النبوي لذات الدين وهذا الذي يجعل الله فيه الخير وهي التي يُجَمِّلها الله في عين الزوج، أما اختيار الناس الجميلة غير ذات الدين فهو الذي يعاني منه كثير من الأزواج اليوم.

3 - **أمانتها وعفافها وحصانتها** إذا غاب عنها فلا يقلق ولا يشغل باله حفظ ماله وبيته ، وعرضه وسمعته ومن باب أولى إن كانت هذه صفاتها :

4 - **أن تبرَّ قسمه** إذا حلف .

والمرأة بهذه المواصفات هي أحد عناصر ثلاثة إذا توفرت للمرء حوى أسباب السعادة،كما أن فقد هذه العناصر شقاوة، وقد أشار إلى هذا الصادق المصدوق فيما رواه الإمام أحمد في مسنده عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال :قال رسول الله ﷺ : (من سعادة ابن آدم المرأة الصالحة والمسكن الصالح والمركب الصالح . ومن شقاوة ابن آدم ؛ المرأة السوء والمسكن السوء والمركب السوء).

ومن الأوصاف التي رغب فيها الرسول الكريم في اختيار الزوجة صفة (الودود الولود) وهذا ما رواه لنا الإمام أحمد عن أنس بن مالك ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : ((تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة)) والوَدُود المُحِبَّةِ لزوجها وأهله ، والولود غير العقيم التي لا تلد . وإن رغب الناس اليوم عن كثرة الأولاد بسبب قلة اليقين بالله الرزاق وعدم العناية بتربية الأولاد كما يريده الرسول المربي ﷺ فإن هذا ليس من سنته ﷺ وليس من توجيهاته الواضحة في هذا الأمر ، والمرأة الودود الولود هي في الغالب البكر التي لم يسبق لها الزواج من آخر وهي أجدر بأن يحرص عليها الشاب الذي لم يتزوج بأخرى ، وإن كانت الثيب أيضاً لها من يرغب بها. [1]

وانظر إلى إرشاد المربي الشفوق سيدنا رسول الله ﷺ لبعض أصحابه وهو جابر بن عبد الله ﷺ عندما جاء إلى النبي ﷺ يخبره بأنه تزوج امرأة ثيباً ، فقال له عليه الصلاة والسلام :(فهلا بكراً تلاعبها وتلاعبك) ولكن جابراً ﷺ أبدى عذره بأن أباه عبد الله بن حرام استشهد يوم أحد وترك له أخوات بنات ، فالمرأة الثيب أوفق لاستيعابهن والعناية بهن وتربيتهن ، وذلك في قصة لطيفة تدل على رفعة خلق هذا الرسول الكريم وشدة تواضعه ومباسطته لذلك الشاب النابه المحب لرسول الله ﷺ جابر بن عبد الله ﷺ .

ويعلل الرسول الكريم ﷺ سبب حضِّه الشباب على الزواج من الفتيات الأبكار بقوله (عليكم بالأبكار فإنهن أَعْذَبُ أفواهاً ، وأَنْتَقُ أرحاماً ، وأَرْضَى باليسير) رواه ابن ماجة ، ويفسر بعض المعاصرين هذا الحديث بأن البكر التي لم يسبق لها الزواج أرضى وأحب لزوجها من الثيب التي قد أَلِفَتْ زوجاً سابقاً قد لا تجد في اللاحق من الصفات التي أَلِفَتْها في زوجها الأول.. وإن البكر تكثر ملاطفة زوجها وملاعبته ومرحها معه ، كما أن ريقها وطيب فمها يحقق لزوجها متعة عظيمة حين المعاشرة ، ومن ناحية أخرى فقد تكون عذوبة الفم دالة على حسن الكلام وقلة البذاءة والفحش مع زوجها لحيائها , ولأنها لم تخالط زوجاً قبله ، كما أنها تكون ولوداً غالباً ، راضية باليسير من العيش والنفقة والجماع ، وأقل طمعاً ، وأسرع قناعة ، وأقل مكراً وخداعاً من تلك التي جربت الأزواج فهي (أي البكر) على الفطرة لا تعرف حيلة ولا تحسن مكراً [2]. اهـ

---

[1] – قال الشافعي : تزوج رجل من الأعراب امرأة جديدة على امرأة قديمة ، وكانت جارية الجدية تمر على باب القديمة فتقول:

وما يستوي الرِجْلان رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت

ثم مرت بعد أيام فقالت : وما يستوي الثوبان ثوب به البلى وثوب بأيدي البائعين جديد .

فخرجت إليها جارية القديمة فقالت : نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما القلب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبداً لأول منزل (البدور ص٨٠)

[2] – تحفة العروسين ص٨٣ بتصرف يسير .

ومن أجل هذا وغيره ، يوصي الرسول الكريم ﷺ بحسن اختيار المنبت الصالح والأرومة الطيبة ؛ ويحذر من عكس هذا ومن ذلك : ١- ما رواه الطبراني والبيهقي عن أنس ﷺ قوله ﷺ : (من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه ، فليتق الله في الشطر الباقي) .

٢- وقال ﷺ فيما روي عن أنس أيضاً ﷺ : (من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلاً ، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً ، ومن تزوجها لحسنها لم يزده الله إلا دناءة ، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره ويحَصِّن فرجه ، أو يصل رحمه ، بارك الله له فيها ، وبارك لها فيه) رواه الطبراني في الأوسط ، ورمز الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب لضعفه ولكنه يتقوى بحديث :

٣- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل) رواه ابن ماجة .

وقد ذكر هذه الأحاديث الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب .

٤- وذكر في الجامع الصغير للسيوطي حديث (تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء ، وأنكحوا إليهم) برواية مالك والبيهقي . وساقه الحافظ العجلوني بهذا اللفظ : (تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم)

وقال : رواه ابن ماجه والدارقطني والحاكم والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكره بلفظ : (تخيروا لنطفكم وانظروا أين تضعونها) برواية عمر بن الخطاب مرفوعاً ، وبرواية أخرى عنه : بلفظ (فانظر في أي نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس) وذكر العجلوني ضعف هذا الحديث ، ثم ذكر حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً بلفظ : (تخيروا لنطفكم فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن) وفي رواية : (اطلبوا مواضع الأكفاء لنطفكم فإن الرجل ربما أشبه أخواله) أهـ .

وقال ﷺ : (إياكم وخضراء الدمن ، قالوا وما خضراء الدمن ؟ قال المرأة الصالحة في المنبت السوء).رواه الدارقطني وغيره ، وذكر العجلوني في (كشف الخفا) بعض طرقه ورواياته ، وذكره موقوفاً على سيدنا عمر ﷺ بقوله : (إياكم وخضراء الدمن ، فإنها تلد مثل أصلها ، وعليكم بذات الأعراق فإنها تلد مثل أبيها وعمها وأخيها) . أهـ

وقال ﷺ :(لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاوياً). علق عليه صاحب تحفة العروسين بقوله (ضاوياً) أي نحيفاً، وذلك لضعف الشهوة، غير أنه يجيء كريماً على طبع قومه، ونقل عن ابن الصلاح قوله :ولم أجد لهذا الحديث أصلاً معتمداً.

وعن السبكي قوله : فينبغي ألا يثبت هذا الحكم لعدم الدليل ، وقد زوج النبي ﷺ علياً بفاطمة رضي الله عنهما وهي قرابة قريبة .

فهذه توصيات باختيار المنبت الصالح والموضع الجيد لتربية الولد فإن المكان الخبيث ينتج خبيثاً كما أن القرابة القريبة قد تسبب بعض الأمراض في الأولاد أو الضعف في البنية ، فالإبعاد في المصاهرة يقي هذا المحذور والله تعالى أعلم ..

ومما يجب أن يلحظ أن **قلة المهر من بركة المرأة** ؛ فقد وَضَّحَ ذلك الرسول المصطفى ﷺ بقوله : (أعظم النساء بركة أيسرهن صداقاً) أخرجه الحاكم .

وفي رواية للإمام أحمد (أعظم النساء بركة أيسرهن مؤونة) وفي رواية للبيهقي (أيسرهن مهوراً) وفي لفظ (صداقاً) وكلها عن عائشة رضي الله عنها كما في كشف الخفا .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن اختيار الزوج ليس بأقل أهمية من اختيار الزوجة وحتى لا يكون الأمر علينا صعباً فقد حسم لنا المربي الشفوق هذه المسألة ولخص لنا أهم الصفات المطلوبة في الزوج الخاطب بقوله فيما رواه ابن ماجة والترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ (إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض) وفي بعض ألفاظ الحديث (إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه .)

وقد ذكرنا – آنفاً – أن القوة والأمانة هما خلاصة الخلق ، ومجمع الفضائل، والدِّين أصل الكل ، وكما ينظر إلى أرومة المرأة وأصلها ينظر بالأحرى إلى أصول الزوج وكرم منبته ، وسمعة أسرته أيضاً ، فإن دناءة الأصل لا تعطي كرامة الخلق والدين، ومن الخلق الفاضل ؛ **عقل الرجل وفطنته** ، فإن من تحجر فكره وضاق منظوره للأشياء ، لا يستطيع أن يسوس نفسه فضلاً عن أن يدبر أمر أسرة ، أو يستوعب أخلاق امرأة ، **وسؤال الأقران** والأصحاب عن سلوك الشابِّ الخاطب قبل إعطاء الجواب بقبوله زوجاً أو ارتضائه صهراً،ويكون كذلك قبل **الإستخارة الشرعية** بالإصهار إليه وإبرام عقد الزواج ..

والإستشارة للمؤمنين عن الخاطب وأحواله ، **والإستخارة الشرعية** في أمر تزويجه ، **سياجان للفتاة** من الوقوع فيما لا يحمد عقباه ، والله الوكيل وهو(نعم المولى ونعم النصير) .

هل يخطب الإنسان لابنته رجلاً صالحاً ؟

ولماذا لا يخطب ، وقد قرأنا فيما مضى – آنفاً – كيف خطب ذلك الرجل الصالح في مدين لابنته الطيبة موسى عليه السلام كما ورد في سورة القصص .

وكما فعل سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ عندما تأيمت حفصة من زوجها خنيس بن حذافة السهمي ، فيما رواه ابن سعد في طبقاته عنه قال : (.. فأتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة ، قلت : إن شئت أنكحتك حفصة ، فقال (عثمان) سأنظر في أمري ، فمكثت ليالي ثم لقيني ، فقال : قد بدا لي ألا أتزوج يومي هذا .

قال عمر ، فلقيت أبا بكر الصديق فقلت : إن شئت زوجتك حفصة ، قال عمر : فصمت أبو بكر فلم يرجع إلي شيئاً فكنت عليه أوجد (أشد غضباً في نفسي) مني على عثمان .

فمكثت ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال : لعلك وجدت علي حين عرضت حفصة علي ، فلم أرجع إليك شيئاً ، قال عمر نعم . قال أبو بكر : إنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت (أي أجيبك) إلا أني قد كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها ، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ ، ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها .)[1]

وكان هذا بعد وفاة رقية بنت رسول الله ﷺ زوجة عثمان ، فأتى سيدنا عمر إلى رسول الله ﷺ فقال : لقيت عثمان فرأيت من جزعه (حزنه)فعرضت عليه حفصة . فقال له النبي ﷺ (ألا أدلك على ختن (صهر) هو خير من عثمان ، وأدل عثمان على ختن هو خير له منك ؟

قال عمر : بلى يا رسول الله. فتزوج النبي ﷺ حفصة ، وزوج بنته (أم كلثوم) عثمان ﷺ .[2]

---

[1] – طبقات ابن سعد ج ٨ ص٨٢.

[2] – طبقات ابن سعد ج٨ ص٨٣ .

وكذلك فعل سعيد بن المسيب رحمه الله ، وكان من أكابر التابعين ، لما ماتت زوجة تلميذه ابن أبي وداعة قال له سعيد : هل تزوجت بأخرى ؟ فأجابه التلميذ :ما عندي ما أتزوج به ، وما أملك سوى درهمين ، فقال سعيد : زوجتك ابنتي على درهمين .ثم أتى سعيد بابنته إلى دار صهره في مساء تلك الليلة ، ولم يرض أن يبيت ليلة عزباً . [1]

فهل ستفعل أنت – عزيزي الأب الصالح – وتختار لابنتك التي ربيتها على الإسلام تربية فاضلة ، هل ستختار لها زوجاً صالحاً وترسل إليه وتقول له زوجتك ابنتي على ما معك من القرآن أو ما تملك من مهر ؟ أظنك ستقول إن ظروف مجتمعنا لا تسمح بهذا فإن صار بين الزوجين خلاف ، ولو كان بسيطاً سيقول الزوج لزوجته إذهبي إلى أهلك ، فإن أباك هو الذي عرضك علي ولو لم تكوني كاسدة ، ما عرضك علي ، أو على غيري ! وأقول لك أيها الأب الصالح ، إن كان الزوج الذي اخترته صالحاً فعلاً ، فلن يفعل هذا ، **ولتتخَلَّص من هذه الظنون ، إن غلب على ظنك صلاح رجل موافق لابنتك ، فأرسل وسيطاً بينك وبينه يدله عليك ، وبعد الإستشارة والإستخارة تزوجه إن شاء الله ، وتتخَلَّص من العواقب التي ذكرناها . والله ولي التوفيق .**

٢- أمور لابد منها قبل عقد الزواج

فإذا جاء الذي نرضى دينه وخلقه ، فهل علينا أن نسأل عن ماله ووظيفته ؟ ولونه وجماله ؟ أم نستخير الله سبحانه في الأصهار إليه بعدما تثبتنا بواسطة الاستشارة عن أخلاقه ودينه وعقله وتصرفاته ؟ نعم ، علينا بعد الاستخارة والاستشارة أن نتوكل على الله في توثيق الصلة بينه وبين فتاتنا بعقد الزواج ، ولكن هناك بعض الملاحظات إليك أخي العاقل ، ولي الزوجة ، فلتكن في حسبانك قبل عقد الزواج وقبل إعطائك الجواب لمن يخطب إليك بالقبول ، فراعِها:

١- **إن الكفاءة بين الزوجين أمر مهم** وقد بحثه علماؤنا الفقهاء مفصلاً وقالوا : يجب تزويج المرأة من الأكفاء ويحرم على ولي المرأة تزويجها بغير كفء لوصية رسول الله ﷺ بذلك فيما يروى عنه بقوله : (لا تنكحوا النساء إلا من الأكفاء ولا يزوجهن إلا الأولياء) .

وقد اعتبرها الشارع الحكيم لدوام استمرار الحياة الزوجية ولعدم انفصام عراها،والصفات المعتبرة في الكفاءة للمرأة ذكرناها في أول بحث الإختيار بأنه يجب أن يراعي الدين والنسب، وعدم العيوب المنفرة ، ويجب أن نضيف اليوم أن التفاوت الثقافي والعلمي بين الزوجين له أكبر الأثر في عدم السكينة والاستقرار ، وإن كانت تراعى قديماً بعض الصفات التي تجعل الرجل كفؤاً للمرأة فإن الموازين اليوم يجب أن تراعي أيضاً فذلك أحرى أن يُمَتِّنَ عرى الحياة الزوجية ويعين على ديمومتها، وهذه تختلف من بلد لآخر ومن زمن لآخر .

ويذكر الفقهاء في هذا حديثاً لا يرتقي إلى درجة الصحيح يستأنسون به في موضوع الكفاءة وهو فيما روي عنه ﷺ ؛أنه قال :(قريش بعضهم أكفاء لبعض ، والعرب بعضهم أكفاء لبعض ، قبيلة بقبيلة ورجل برجل ، والموالي (أي غير العرب) بعضهم أكفاء لبعض ، قبيلة بقبيلة ورجل برجل إلا حائك أو حجام) . رواه الحاكم

وعلى فرض ثبوت هذا الحديث ففيه إرشاد لملاحظة الأوضاع الاجتماعية والقبلية والمهنية بين المتصاهرين ،

وواضح أن بعض المهن كان العرب يأنفون منها ويعتبرونها وضيعة كالحياكة والحجامة .. وإن تبدلت النظرة اليوم .

---

[1] – انظر القصة مفصلة في (بستان الأسرة) من هذا الكتاب .

لأن قول الحق سبحانه ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ وقوله :﴿ أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون ﴾ هو فصل الخطاب في هذا الباب . [1]

٢- وعلى كل حال للمرأة الحق في قبول هذا الخاطب ورفضه ، ولذلك لابد من استشارتها وعرض الأمر عليها فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال (لا تُنْكَحُ الأَيِّم حتى تُسْتَأْمَرْ ، ولا تُنْكَحُ البِكْرُ حتى تُسْتَأْذَنْ ، قالوا يا رسول الله وكيف إذنها ؟ قال أن تسكت)

وروى مسلم أيضاً عن عائشة رضي الله عنها قالت سألت رسول الله ﷺ عن الجارية (الفتاة) يُنكحها (يُزوجها) أهلها أتستأمر أم لا ؟ فقال لها رسول الله ﷺ : نعم تستأمر ، فقالت عائشة رضي الله عنها فقلت له : فإنها تستحي. فقال رسول الله ﷺ فذاك إذنها إذا هي سكتت) . وقد لا تستحي من الرفض قولاً لا سكوتاً وخاصة في زماننا هذا ؛ ولهذا شاهد فعلته إحدى الفتيات زمن الرسالة حيث جاءت فتاة إلى النبي ﷺ تشتكي إليه بأن أباها زوجها من ابن أخيه (ابن عمها) ليرفع بها خسيسته (أي ليرفع منزلته بزواجه منها) فجعل النبي ﷺ لها الخيار في الموافقة وعدمها فأجازت ما صنع أبوها [2].

تحذير : إياك أخي المؤمن ، إن رأيت إصرار ابنتك على الرفض لهذا الخطيب الذي تقدم إليها ، أن تجبرها عليه ، أو تستحي من أهله ،من والده مثلاً ، إن كان قريبك (أخاك ،أو أختك) وتقول : أنا لا أُخَجِّل أختي أو أخي ، فإن أمر الرضا فيه صلاح الزوجين والرفض وعدم قبول البنت له ، ثم إجبارها عليه ؛ فيه تحطيم مؤكد للأسرة ، وللبنت ، ونتيجة ذلك إما الطلاق ، أو الأمراض العصبية لا سمح الله .

ولا نستطيع أن نقول ؛ هذا الزمن لابد فيه من التصريح بالقبول أو الرفض قولاً لا سكوتاً، لأنه لا يزال فيه كثير من الفتيات والحمد لله يغلب عليهن الحياء ، فيخترن السكوت علامة على القبول .

٣ - النظر إلى المخطوبة والخاطب : ومن مقدمات الزواج التي تعين على إبرامه وتوثيق عقده ، أو تُفْضِي إلى العدول عنه قبل إبرام ميثاقه ؛ هو نظر كل من الخاطبين إلى بعضهما ، وقد يستشكل بعض الناس هذا النظر ، والله سبحانه يقول : {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} (٣٠) سورة النـــــور، وقوله سبحانه :{وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (٣١) سورة النـــــور

وقول الرسول الكريم ﷺ (النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها مخافة مني أبدلته حلاوة يجدها في قلبه)

وقوله لسيدنا علي ﷺ : (يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة) رواه الترمذي [3] .

والجواب صريح من الشفوق الرؤوف الرحيم فإن النظر لأجل الخطبة مستثنى من هذه القاعدة الإيمانية التي هي سياج للمؤمنين من إطلاق الأبصار تسرح في وجوه النساء وتُحْدِثُ سُمَّها في القلوب ،

---

[1] وانظر كتاب تحفة العروسين للشيخ الأهدل حفظه الله .

[2] - رواه ابن ماجة ، وانظر كتاب تحفة العروسين ص٨٩ وكتاب إرشاد الخاطب ص٢٦ .

[3] - والحديثان وغيرهما في هذا الباب في الترغيب والترهيب للمنذري .

فإن نَظَرَ الخاطبِ لخطيبته بنيَّةِ الزواج (بعد إبرام أمورها والإتفاق على شؤونها واستشارة المؤمنين عن دينه وخلقه) إمَّا أن يوقعَ في قلبه الميل إليها فيبرم عقد الزواج ، أو يوقع الإعراض عنها وعدم القبول فيكون الرجوع عن الخطبة قبل توثيق العقد أهون على الطرفين من تحمل تبعات العقد ثم نقضه ، روى ابن ماجة في سننه عن أنس ابن مالك ﷺ أن المغيرة بن شعبة أراد أن يتزوج امرأة ، فقال له النبي ﷺ (إذهب فانظر إليها،فإنه أحرى أن يَؤْدَمَ بينكما) ففعل، فتزوجها فذكر من موافقتها له .وكذلك ما ورد عن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً أراد أن يتزوج امرأة من نساء الأنصار فقال النبيﷺ :(انظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئاً) .

قال علماؤنا الفقهاء إذا أراد الرجل خطبة امرأة جاز له أن ينظر إلى وجهها وكفيها بإذنها وبغير إذنها ، وحتى ولو لم تَدْرِ هي ؛ فقد روى ابن ماجة عن محمد بن مسلمة قال : خطبت امرأة فجعلت أَتَخَبَّأُ لها ، حتى نظرت إليها في نخل لها ،فقيل له تفعل هذا وأنت صاحب رسول الله ﷺ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إذا ألقى الله في قلب امرء خطبة امرأة فلا بأس أن ينظر إليها) . (رواه ابن ماجة في سننه) .

وقالوا أيضاً : (يجوز للمرأة أيضاً إذا أرادت أن تتزوج برجل أن تنظر إليه لأنه يعجبها من الرجل ما يعجب الرجل فيها ..) ولهذا قال سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ : (لا تُزَوِّجوا بناتكم من الرجل الدميم ، فإنه يعجبهن منهم ما يعجبهم منهن) .

كما أن للخاطب أن يكرر النظر مرة ومرتين بهذه النية أيضاً حتى يقع في قلبه القبول أو الرفض .[1]

أقول :وقد جرى الأمر اليوم في البيوتات الإسلامية المحافظة على دينها وأخلاقها والتي لم تسفر نساؤها وبناتها عن وجوههن أن تجري الرؤية الشرعية للمخطوبة بحضور والدها أو أحد محارمها ، فيراها خطيبها وتراه ويكلمها وتكلمه، وهي في حجاب الصلاة كاشفة الوجه واليدين فقط .ولا يغرنك عزيزي الشاب ما تقرؤه في بعض الكتب أو يقوله بعض من ينتسب إلى العلم بأن للخاطب أن ينظر شعرها ونحرها زيادة على الوجه والكفين،فإن الكاشفات للشعور والنحور،والأرجل والصدور ، يملأن الشوارع!! . أما اللؤلؤ المكنون ؛ فإنه مكنون في البيوتات المسلمة المحافظة على الدين والخلق والحشمة والشرف والحجاب.

٤- التريث في إعلان العقد وتوثيقه : بعد الذي عرضناه من مقدمات الزواج وما ارتضاه أولياء الزوجين من الخاطب والمخطوبة ، وبعد أن رأى الخاطب المرأة التي اختارها أو اختارها له أهله ، وبعد أن جرى السؤال عن الأسرتين باستشارة أهل النصح والرشاد في أمر الخاطبين ، وتمت في الغالب المفاوضة على المهر والأثاث وما يتبعهما من المسكن واللباس ، فإن أمر إعلان العقد قد أصبح وشيكاً .

- وقد يستعجل الشاب ، يريد أن يتجاوز كل هذه المقدمات والأسباب ويصل إلى يوم يوثق فيه اختيار أهله أو اختياره ؛ بعقد الزواج حتى لا يبقى أمامه مانع من لقاء فتاة أحلامه وشريكة عمره ، ويريد أن يقفز فوق الزمان وفوق حواجز الأعراف والعادات ولكن قالوا قديماً : من صبر ظفر ، ومن جاع أكل طيباً ..

- وقد ترى الفتاة أيضاً أن هناك أموراً لا لزوم لها يفرضها أهلها على من أحبت أن يكون فتى أحلامها ، ويضعون الحواجز والعوائق أمام لقائهما ويبعدون زمن اقترانهما .

- فمهلاً عزيزي الشاب ، غاليتي الفتاة ، مهلاً ، فإن الأمر ليس لقاءً مؤقتاً واجتماعاً عاجلاً ، إنه حياة مديدة ، وعمر طويل تنتج آثارها عليكما بالسعادة والهناء ، والخير والبركة والبنين والبنات السعداء الموفقين إن شاء الله .

---

[1] وانظر هذا مفصلاً في الكتاب النافع (تحفة العروسين للشيخ الأهدل حفظه الله) .

- ولما ذكرناه مفصلاً في الصفحات السابقة من عواقب ما تنتجه الزيجات السريعة من آثار ضارة على الزوجين والأسرتين نتيجة عدم المعرفة بالواقع الذي عليه الزوجان (الخاطبان) فإن التريث والهدوء في عقد الزواج لاستكمال المعلومات واستشارة أهل الرأي والحصافة واستخارة الله سبحانه من قبل الزوج والزوجة وأهليهما؛ يوصل إلى الخير والتوفيق بإذن الله .

٥- إرشادات للخاطب حول معاملته لخطيبته :

إذا قدر لكما الله سبحانه في فترة الخطوبة وبعد عقد الزواج –قبل البناء (الزفاف) اللقاء والحديث ، وأن تعرضا بعض آمالكما وخططكما المستقبلية لبناء الأسرة المرتقبة ؛ فلاحظ عزيزي الزوج (الخاطب) ما يلي :

1- **أَشْعِرْ خطيبتك (زوجتك) أنها ستلقى الأمن والأمان لديك** في عش الأسرة السعيد ، لأن المرأة خلقت عاطفية أكثر من الرجل وتحب الاعتماد عليه ، حدثها عن ذلك ، ولتحس منك أنها ستجد هذا الذي تبحث عنه ؛ فحاجة المرأة إلى الشعور بالأمان يجعلها أشد ارتباطاً بالزوج وسعياً نحو إرضائه ، ولكن لا تكن كاذباً في وعودك ولا مخادعاً في حديثك .

2- **عليك إذا تحدثتما سوية أن تصغي لحديثها ،وتقدر عواطفها**، وألا تسفه اهتماماتها ، ولا تعجب إن رأيتها تبكي أحياناً لسبب تجده أنت تافهاً ، وتراه هي مهماً، فإن لدى المرأة قدرة تفوق الرجل في التعرف على مشاعر الآخرين،والإحساس بها،وقد تأخذ بعض الأمور بعاطفة زائدة وبدون تعقل ثم تندم على ما فعلت، فعليك ألا تسفه رأيها ولا تذكرها بأخطائها ..

3- **كما أنها تحب الكلام والحديث إلى الرجل**، ومعظم حديثها عن فلان وفلانة ، وقد يكون فيه الغيبة ، فعليك أن تعرفها إثم الغيبة وتلفت نظرها عنه بلطف مع بيان إثمه وعقابه عند الله سبحانه ، كما أنها غيورة ، فاحذر ذكر امرأة أخرى عندها بعينها ، أو بأخلاقها إلا على سبيل التأسي بصاحبات الخلق الفاضل ،

4 – **كما أن عليك ألا تحدثها عما لا تحب سواء ماكان في ماضي حياتها** ، أو ماضي حياتك ، والحذر الحذر أن تستجرها إلى حديث عما فعلت في مراهقتها أو فتوتها ، ولتحذر هي أيضاً أن تحدِّثَ عما فَعَلَتْ ، أو يتحدث هو عما فعل ، فإنه إن كان في معصية ، فعلينا بعد التوبة منها ألا نفضح أنفسنا بذكرها (إذا ابتليتم بالمعاصي فاستتروا) وإن لم يكن معصية ، ولكن مما لا يفيدنا في بناء الحياة الزوجية فالإمساك عنه وعدم التحدث أولى وأفضل .

ومن الإرشادات لما بعد الخطوبة :

5- **أن المرأة لا تحب غياب الرجل الطويل عن بيته** ، وتخاف من بُعْدِ الزوج عنها فلاحظ هذا ، واجعل قسطاً من وقتك لمؤانسة زوجتك ، وبالمقابل فعلى الزوجة أن تجعل نفسها وبيتها جذاباً لزوجها ، يحب العودة إليه والراحة فيه لا مغادرته والفرار منه .

6 – **كما عليك أيها الزوج الخاطب ، أن تتذكر بعض المواقف والمناسبات** والثياب التي تحبها زوجتك لما رأتك فيها ، عليك ألا تنساها ، بل تَجَمَّلْ لها كما تحب أن تَتَجَمَّلَ لك ، ولتكن أناقتك وبخاصة في الثياب والمظاهر التي تحبها زوجتك ، فقد روي عن ابن عباس ﷺ أنه قال : (إني لأتجمل لزوجتي كما أحب أن تتجمل لي) . [1]

---

[1] – انتقينا بعض هذه الإرشادات من كتاب إرشاد الخاطب والمخطوبة ص٥٢ وما بعدها .

فاذكر هذا واحرص عند عودتك من عملك ، بعد زواجك الميمون إن شاء الله ، أن تخلع ثياب المهنة، وتغسل يديك ووجهك أو تستحم إن اقتضى الأمر ، وتلبس الثياب المناسبة لجلوسك معها على المائدة أو في المترل تقضيان بعض الوقت ، أو تلاحظان فيه الأولاد ..

٣- مقدمات الإعلان (الدعوة إلى عقد الزواج)

وقد جرت عادة الأسر المسلمة والحمد لله منذ القديم ؛ منذ صدر الإسلام إلى يومنا هذا ، **بإعلان عقد الزواج** ودعوة الأهل والأصدقاء ، والجيران والأقرباء لحضور العقد ، فيعلن عن موعده ومكانه ، ويدعى إليه من ذكرنا ، يُتَوِّجُ حضورَهم النخبةُ الصالحة من العلماء والفضلاء ، ثم **إجراء العقد أمام جمهور** الحاضرين ليكون إشهاداً على الزواج وإعلاناً له كما يرى بعض الأئمة الفقهاء أنه لابد مع الإشهاد من أن يكون معلناً على ملأٍ من الناس ، إتباعاً لوصية الرسول المصطفى ﷺ بهذا .

– ولذلك كان كثير من الصالحين يرغبون ولا يزالون بإجراء عقد الزواج في المساجد ليحضره جمهور المسلمين الصالحين ويستمعون فيه إلى المدائح النبوية والأناشيد الدينية مع صوت الدف (المزهر) الذي هو رمز الإعلان ،وامتثال أمر الرسول ﷺ بقوله : (أعلنوا بالنكاح ، واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف) وفي رواية بالدف ، رواه الترمذي عن عائشة رضي الله عنها .

والعقد ميثاق غليظ كما قال الله تعالى في سورة النساء : {وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً (٢٠) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا} (٢١) سورة النساء ، فيبدأ ولي الزوجة وهو غالباً والدها (أو أخوها أو جدها حسب درجات العصبة الإرثية) قائلاً للزوج الحاضر أمامه أو وكيله : (وبحضور الموظف المأذون من قبل قاضي شرع البلدة) زَوَّجتُك (أو زَوَّجتُ موكلَك فلان) موكلتي فلانة ، على مهر قدره كذا ألف ليرة معجلاً مقبوضاً أو غير مقبوض ومؤجله كذا ألف ليرة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فيجيبه الزوج أو وكيله : (قبلت زواج موكلتك فلانة من نفسي، أو من موكلي) على ما ذكرت من المهرين المعجل والمؤجل على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وبذلك يتم عقد الزواج وقد شهد عليه الجمع من الفضلاء والصلحاء والأهل والأقرباء .

أهمية توثيق العقد في الدوائر الرسمية :

وعملاً بقوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ﴾ فإن الحق سبحانه حضَّنا ورغَّبنا وطلب منا أن تكون كافة عقودنا ومداياناتنا وشراكاتنا وآجاراتنا وكافة معاملاتنا المالية موثقة ، ومن أهمها عقد الزواج .

وأحب أن أنبه هنا إلى هذه الناحية ؛ فإن عدم توثيق عقد الزواج لدى الدوائر الرسمية المختصة (المحكمة الشرعية ودائرة الأحوال المدنية) يُسَبِّبُ كثيراً من المشاكل للزوجة وأهلها ، وأؤكد على الآباء وأنه مهما كان الزوج موثوقاً في دينه وأمانته ولو كان من الأقرباء ألا يكتفوا بعقد الزواج (العرفي) العادي(خارج المحكمة) **بل عليهم ألا يقبلوا إلا أن يكون موثقاً ومسجلاً في الدوائر المختصة** ، وإن اقتضى الأمر السرعة وعدم التوثيق بيوم العقد لظروف معينة فمن اللازم توثيقه في اليوم التالي مباشرةً أو بأقرب فرصة ، فإنه أضمن لحقوق بناتهم إذا حدث إي خلاف مع أزواجهن ،كما أنه قيد وثيق للزوج حتى لا يتخلص منه إذا كان في نيته السوء ، أو كان ممن يتظاهرون بالصلاح وهو غير ذلك ، فلقد رأينا آثار عدم التوثيق ضياعاً لحقوق الزوجة ، وفيها من المشاكل والخصومات مالا يرضاه أهل الخلق القويم .

لذلك فإن العمل بالأمر الإلهي ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه....﴾ فيه الضمان المالي على الأقل ، والتخويف لمن أراد الاستخفاف بحق الزوجة .

وقفة عند المهر المقبوض وغير المقبوض(المعجل والمؤجل) وتنبيهات مهمة للزوجين :

قد يسخر بعض الشباب وبعض الفتيات من تسجيل المهر معجلاً أو مؤجلاً ومن كثرته أو جعله مقبوضاً ، ومن إجراءات عقد الزواج وما يتطلبه من إذن ولي الزوجة وموافقته الصريحة ، وباقي الإجراءات الأخرى من الفحص الطبي ؛(فإن الفحص الطبي الصحيح وليس الشكلي) لكلا الزوجين مهم وضروري لمعرفة ما إذا كان فيهما مرضٌ سارٍ أو خفيٌ يعيق أحدهما أو كليهما عن القيام بحقوق الزوجية فلينتبه لهذا ، ولا يستخف به. وسلامتهما من الأمراض ،حصانة لهما وللأسرة مستقبلاً وحاضراً، وكذلك إذن دائرة التجنيد لازم لتوثيق العقد في المحكمة .

لهذا كله :أقول مهلاً عزيزي الشاب ، مهلاً غاليتي الفتاة ..

لا تسخرا ولا تستخفا بما يضمن لكما بعض الحقوق وليس كلها ، إذ أن الرجل الغادر الذي يخبيء الشر ويبطن المكر لك – غاليتي الفتاة – قد لا توقفُ شرَّهُ هذه القيود ، ولكنها تُرْبِكُهُ وتجعله يفكر كثيراً قبل أن يجتازها ويقطعها ، ومتى شعرت بمحاولة قفزه فوق هذه القيود ورغبته في توهينها وتقطيعها ، فهذه نُذُرٌ تنبئُك بأنه ماكر غادر ، فأَعْلِمي ذويك بها ولا تخبئي عنهم شيئاً ، ولو أغواك وأغراك بمعسول الكلام ، وجميل الوعود .. **فافطني لهذا جيداً ، وإياك من كتمانه عن أهلك ؟!**

وكذلك عزيزي الشاب، إذا شعرت بأن هذه المرأة تريد منك (مباشرة منها أو بواسطة أهلها من ورائها) بعد عقد الزواج غير مادُوِّنَ فيه ، وتريد أن تخصص هي وأهلها بعض أموره وقيوده ، فكن حذراً فإن وراءها من سيفسد عليك عيشتك ، ويجعلك تسير على غير الطريق الذي اتفقتما عليه،فشاور أهلك ومحبيك(قبل إبرام أي أمر من تعديل المهر أو الإضافة عليه)..

وقد لا يدري كثير من الأزواج ما معنى المهر غير المقبوض والمعجل والمؤجل فلنتفهم حقيقة المهر وآثاره المادية والمعنوية في حياة الزوجين .

إن المهر في حقيقته تكريم للمرأة وليس شراءً لها كما يحلو لبعض الناس أن يعبر عنه ، قال ربنا سبحانه : {وَآتُواْ النِّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا} (٤) سورة النساء .

فقد سمى الله سبحانه وتعالى المهر (صِدَاقاً) وجعله هدية وهذا معنى (النِّحْلة) أي العطية ،فهو قبل كل شيء تكريم للمهدى إليه ، وليس لأحد أن يترعه من الزوجة فهو حقها ، كذلك أوصى الله سبحانه في هذه الآية وفي آية أخرى بألا يمد أحد يده إلى هذا المهر فيأكل أو يتصرف فيه دون رضا الزوجة ، قال تعالى كما مر معنا في سورة النساء ﴿ .. وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً ..﴾

فالمهر إذن حَقٌ لها قليلاً كان أو كثيراً ، ولا يجوز لأحد قريباً كان ؛كالزوج أو الوالد أو الأخ أو بعيداً ، أن يتصرف فيه أو يأخذه إلا برضا صاحبته المطلق ، وكذلك فليس لأحد أن يحدد هذا المهر بحد معين ،

وإن كان الخير واليسر والبركة في عدم الكثرة كما ورد عن الحبيب المصطفى ﷺ (من يُمْنِ المرأة يُسْرُ مَهْرِها)

وإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أعلن أنه لا يجوز لأحد أن يزوج ابنته بأكثر من مهور نساء رسول الله ﷺ فقالت له امرأة سمعت خطبته : أنطيعك أم نطيع الله يا عمر ؟ فقال لها بل نطيع الله فقالت إن الله سبحانه وتعالى قال :﴿ .. وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً ﴾ فقال عمر : أصابت امرأة وأخطأ عمر ، وعدل عن تحديد المهور [1].

والمهر إما أن يكون معجلاً كله أو منه معجل (مقدم) ومنه (مؤجل) أي مؤخر .

فالمؤخر إنما هو تخفيف عن الزوج بسبب تأجيل قسم منه (لما بعد الوفاة أو الطلاق)وهذا من باب التيسير على الزوج كيلا يدفع كل المهر معجلاً ..

وقد جرت عادة آباءنا الصالحين أن يشتري أولياء الزوجة بالمهر أثاثاً وحوائج يضعونها في بيت الزوجة إعانة للزوج الذي أنفق هذا المال وأهداه (نِحْلَةً) للزوجة ، إذ قد لا يتيسر له المال الذي يفرش به بيته ويكمل به متاع الأسرة الجديدة، وهذه خطوة فيها كل العون والنصح والرشاد ودلالة على محبة أهل الزوجة للزوج وعربون مناصحة وإكرام أن يجعلوا مهر الزوجة أو قسماً منه أثاثاً لبيت الزوجية يستخدمه الزوجان أول حياتهما .

أقول : جرى هذا الأمر مدة طويلة ولازال حتى الآن بعض الناس يفعلونه ، وإن كان هذا الأمر غير واجب على الزوجة وأهلها ولا ملزم لهم ، فإن المهر حق وملك للزوجة تصنع به ما تشاء ، فلها أن تشتري به بيتاً تسكنه مع زوجها أو تؤجره لآخر ، ولها أن تشتري به حلياً ذهبية تستعملها ، ولها أن تتاجر به أو تضع قسماً منه في شركة إلخ .. وليس لأحد ولو زوجها أو والدها أن يأخذ هذا المهر دون رضاها ، كما بينا في الآيات والأحاديث السابقة ..

وما يصنعه الناس اليوم من تدوين المهر المعجل غير مقبوض فإن له حسنات وسيئات وهذا يعود لنية الطرفين :

فمن إيجابياته : تسهيل أمر الزوج إن كان لا يملك المهر ، فإنهم ييسرونه عليه ويجعلون المعجل غير مقبوض أي لا يطالبونه به ولا بشيء من الأثاث والفرش ، فيجعل في بيته ما تيسر من الجهاز، والمهر ثابت في ذمته يدفعه عند الطلب .

ومن سلبيات هذا الأمر أن المرأة ولو زفت إلى زوجها وأصبحت في بيت الزوجية ، فإن لها المطالبة بمعجل المهر غير المقبوض فإن لم يدفعه لها فلها أن تمتنع عن زوجها وتلجأ إلى أهلها أو إلى المحكمة مطالبة بقبض مهرها المعجل ولا تعتبر ناشزاً (عاصية لزوجها) شرعاً ولا قانوناً ،حتى يؤديها إياه ،فإن لم يؤدها إياه وهذا طبعاً يكون بعد الخصومة فإن القاضي يأمر بحبسه حتى يؤديه ..

وأما المهر المؤجل : فهو غير مقبوض في كلا الحالتين وتأخير قسم منه تيسير على الزوج ولا تستحقه الزوجة إلا بعد وفاة الزوج أو طلاقه لها.

وأؤكد هنا : إن المهر قليله وكثيره ، مقبوضه وغير مقبوضه ومؤجله ومعجله ،هو ملك للزوجة فإذا مات الرجل عنها أو طلقها بعد أن تم عقد الزواج ولو لم يدخل بها (أي لم تزف إليه) فإنه حقها تستوفيه منه أومن تركته وليس لأحد غيرها الحق فيه ، ولها مع المهر (ثُمْن) التركة إرثاً إن مات الزوج وكان له ولد ، وإن لم يكن له ولد فلها (الربع) من تركته ماعدا مهرها .

---

[1] – القصة بتمامها رواها الإمام أحمد بسنده والحافظ أبو يعلى بسنده إلى مسروق وقال في نهاية الحديث : وإسناده جيد ، ولكن دون قوله: أصابت امرأة وأخطأ عمر وانظر ها بتمامها مع رواياتها في كتاب البدور في أحوال ربات الخدور ، بحث المهر ، ص ٣٩ .

فإن كان مهرها أثاثاً وضعته في بيت الزوجية فهو لها ولاحقَّ لغيرها فيه ، وإن كان مالاً نقداً فهو لها أيضاً تستوفيه إن كان غير مقبوض ، مع المؤجل الثابت في ذمته .

ملاحظة مهمة : وأحببت أن أُذَكِّرَ بشيء مهم لأنني سمعت أثناء عقود الزواج أن المهر غير المقبوض (حبر على ورق) فليسجل أولياء الزوجة ما شاؤوا من المال !! فهذا الفهم خاطىء من وجوه عديدة :

1- **أنه ليس حبراً على ورق بل هو وثيقة دين ممتازة** مقدمة على سائر الديون يحبس بها الزوج إن امتنع عن أدائه ، ولا تكون الزوجة ناشزة شرعاً وقانوناً - كما قدمنا - إن طالبت به وامتنعت عن معاشرة الزوج حتى تقبضه .

2 - **أنه يبين سوء نية الزوج وجهله بالأمور** المالية والحياتية التي سيقدم عليها ، معتبراً أن الزواج مغنم ليس فيه مغرم ، وهذا خطأ كبير يقع فيه كثير من الناس فإن الزواج مسؤولية دينية ومالية واجتماعية قبل كونه متعة ولذة .

3 - **إن نية الزوج عدم وفاء المهر لزوجته** وعدم تقديمه لها عند الطلب والاستحقاق ؛ إن هذه النية تجعله بمنزلة السارق بل والزاني فقد ورد في الحديث (أن رسول الله ﷺ قال : أيما رجل تزوج امرأة على ما قل أو كثر من المهر ليس في نفسه أن يؤدي إليها حقها خدعها فمات و لم يؤد إليها حقها ، لقي الله يوم القيامة وهو زان ، وأيما رجل استدان ديناً لا يريد أن يؤدي إلى صاحبه حقه خدعه حتى أخذ ماله فمات و لم يؤد إليه دينه لقي الله سبحانه هو سارق)[1] .

وحاشاك أخي المؤمن أن تنوي منذ الساعة الأولى من حياتك الزوجية أن تكون سارقاً لمهر زوجتك أو تلقى الله زانياً ، والعياذ بالله تعالى .

ضيافة العقد :

اعتاد الناس ، المغالاة في حفلات العقد ، وصرف المال الكثير عليها ، وتركو الوليمة (الدعوة إلى الطعام) التي هي السنة وفيها البركة ، فماذا ستفعل أنت عزيزي ؟ !

لقد سرت سنة حسنة في مجتمعنا وهي أن يقدموا هدية العقد كتاباً نافعاً ، أو مصحفاً ، فهذا أجمل وأفضل وهذا مما نوصي به ونحض عليه **وليكن كتابنا هذا** ، أيضاً هدية فهو مناسب لهذا الموضوع

كما أحب أن أذكر أن الزهور التي تقدم وقيمتها تساوي عشرات أو مئات الألوف إنما هي إسراف وهدر ، فلا مانع أن نذكر في بطاقة الدعوة الاعتذار عنها ، وتقديم قيمتها إلى الجمعيات الخيرية ، لقاء إيصال ويذكر ذلك في حفلة العقد ، كي يقتدي به الناس ، وكذلك في حفلة العرس ، فأَوْصِ به ، واحرص أيضاً على وليمة العرس ففيها البركة والخير .

٤- بعض الآداب بعد عقد الزواج :

عزيزي الزوج ، غاليتي الزوجة : ها قد تم عقد زواجكما وقد أصبحتما زوجين بعد أن كنتما خاطبين بارك الله لكما وبكما وعليكما وجمع بينكما بخير وأنشأ منكما الكثير الطيب .

والآن أحب أن أقدم لكما بعض التنبيهات التي يجب معرفتها والإطلاع عليها حتى تعلماها ولا يتنغص عيشكما بجهل بعض الواجبات أو تجاوز بعض المسؤوليات .

فلقد أصبحتما منذ هذه الساعة زوجان عليكما واجبات ولكما حقوق تجاه بعضكما البعض وتجاه الآخرين ، بدءاً من والديكما ، وأبنائكما مستقبلاً ، وجيرانكما ، وأصدقائكما ، وكافة الناس ، فعليكما معرفة ذلك وإعطاء كل ذي حق حقه

---

[1] - رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورواته ثقات ، كما في الترغيب والترهيب للمنذري .

حتى تتم لكم السعادة والهناء فإن من عرف ماله وما عليه ، وأعطى لكل ذي حق حقه ؛ سارت حياته هادئة مطمئنة بعون الله وتيسيره وقد قال الحبيب المصطفىﷺ (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالرجل راع في بيته ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها والإمام راع ومسؤول عن رعيته) رواه البخاري .

أقول : بعد أن تم عقد زواجكما وصرتما شريكان في حياة مستقبلية هانئة إن شاء الله ، وقد وصلتما إلى هذه الساعة التي طالما انتظرتماها بفارغ الصبر ، وأصبحتما تعيشان في ظلها ، فهل هناك مانع من أن تجلسا معاً دون رقيب أو عذول ، وهل لكما أن تخرجا معاً في نزهة ، وتسيرا في شارع دون أن يقول لكما أب أو أخ هذا ممنوع ، يجوز أو لا يجوز ؟! كمثل هذه الكلمات : (يا بنت ! أين تذهبين ؟ لماذا أكثرت الجلوس مع خطيبك ؟ لماذا تأخرت عن الحضور إلى المترل ؟) وهل لك أن تتصرفي مع خطيبكِ الذي صار زوجاً (شرعاً وقانوناً) دون أن يكون لأحد تدخل في تصرفاتكِ ،

وهل لك عزيزي الخطيب (الزوج) أن تأتي إلى بيت زوجتك التي لا تزال عند أهلها وتجلس معها وتأخذها نزهة وتسافر معها دونما لائمٍ و لائمة ، أو مانع أو مانعة ؟

أخي الزوج الفطن : سوف تنسى من فرحة اللقاء بعد العقد أثناء جلوسك مع عروسك في أبهى زينتها في هذه الساعة الحلوة التي طالما انتظرتها أن أحداً في الدنيا له حق عليك أو سبيل لمنعك من تصرف ما ؟ وسوف تزداد لوعة الشوق في قلبك بعد ذلك وتفكر وتدبر أموراً كثيرة ..!!

ولكن أقول لك مهلاً ، فأنت لا تزال محكوم بأعراف وعادات وتقاليد لا أقول عنها بالية ولا عتيقة ولا رجعية ؛ عليك أن تراعيها وتراعي الناس الذين لازالوا يتمسكون بها فقد يكون بعضها لازماً لصيانتك وحفظك من ألسنة الناس وقالة السوء .. فإن كانت أعراف بلدك لا تزال تحافظ على عدم خروج الفتاة المخطوبة (بعد كتب العقد) قبل الزفاف فالتزمها ، وأسرع في تعجيل ليلة الزفاف حتى تصبح شريكة حياتك في بيتك وليس لأحد عليكما سلطان ، ولا لعين عليكما رقيب ..

فإنك عزيزي الزوج الخاطب ؛ مطالبٌ أن تراعي أعراف الناس وتقتصد في خروجك ودخولك حسبما تسمح به تلك الأعراف حتى لا تسيء إلى ذوي زوجتك وتجرح شعورهم أو تحملهم مالا يطيقون من كلام الناس عنهم ، وكذلك فإن خروج خطيبتك (زوجتك) معك قبل زفافها أيضاً مرهون بهذه الأعراف البلدية التي علينا أن نراعيها ما أمكننا طالما أنها لا تحل حراماً ولا تحرم حلالاً ، بل هي أشبه بالسياج للأعراض والمروءات .

وقد تقول إنها زوجتي شرعاً وقانوناً فلماذا لا يتركوننا نفعل ما نشاء ، وأقول لك :نعم ؛ إنها زوجتك ولكن لا تزال لدى أهلها و لم تزفَّ إليك ، وإن **من كمال إعلان الزواج** الذي يجري بعد العقد ، أن تزفَّ إليك وتعمل حفلة العرس التي توازي عقد النكاح ويدعى إليها الناس فذلك العقد (كتب الكتاب) في عرف الناس (**مقدم**) وحفلة العرس التي تزف فيها العروس إلى بيتك (المؤخر) الذي تستحقه أنت بعد عمل (**المقدم**) فهو لك خالصاً من دون الناس !

زهرة محفوفة بشوك :

وخلال هذه الفترة مابين العقد والعرس ، فإن لك أن تعيش أياماً هانئة سعيدة تشعر فيها بحرارة اللقاء مع عروسك ولذته ، ومرارة البعد والصبر عنها وقسوته ، ولك فيها أن تختبر أخلاقها ، **وأن تختبر أخلاقك تحت مظلة أهلها وأهلك وضمن آداب وأعراف بلدتك ..**

فكن عاقلاً ، صابراً وحليماً حازماً ؛ فإن التؤدة في الأمور خيرٌ كلها .. فإن وجدت بعد التردد إلى بيت أهلها ، ومخالطة عروسك ومجالستها ومحادثتها أن الحياة لا يمكن أن تستمر معها ، فاعلم أن لك أن تفصم عقد الزواج بالرضى والهدوء ودون مخاصمة وبالاتفاق مع أهلها فبيِّنْ لهم الذي تريد واتفقا على المخالعة (فسخ الزواج)

فإن تراضيتما عليها فالمهر معجله ومؤجله والهدايا والملاك بينكما حسبما تتفقان على أدائه كلاً أو بعضاً وبتراضيكما ، وإن لم تتفقا ؛ وكنت **قد خلوت بها** ولو لم تكن بينكما معاشرة جنسية ، فاعلم أنها تستحق المهر كاملاً إن أردت طلاقها .

أما إن كنت **لم تَخْلُ بها** فلها نصف المهر وليس عليها العِدَّة الشرعية كما بين ذلك الحق سبحانه بقوله : ﴿ لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ، ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المتقين ﴾ ٢٣٦ البقرة .

أي فلها نفقة تطيب خاطرها إن لم يكن قد سمى لها مهراً وطلقها قبل الدخول .

﴿ وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح ، وأن تعفوا أقرب للتقوى ، ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير ﴾ ٢٣٧ البقرة

ولا أحبُّ أن أُعَكِّرَ صَفْوَ حياتك بحديث الطلاق ولكن أبيِّنُه لك ، لأنه قد يحدث الاختلاف والافتراق قبل الزفاف ، فإن كنت رزيناً هادئاً في معاشرتك لزوجتك المخطوبة بالمعروف تحت مظلة الآداب الاجتماعية وكنت متريثاً غير مستعجل فلم تكن بينكما خلوة ودخول يوجب المهر كاملاً وأردتما الافتراق بالتراضي ، فإن فراقكما لن يؤدي إلى جرح كرامة أهلها وإيذاء سمعتها ، وبالتالي فإن أمامكما للفراق طريقان :

الأول : ويكون **بالتراضي** بين أهلكما وتشاوران فيه أهل العلم .

الثاني : ويكون **بالتقاضي** أي برفع الأمر للقضاء وأنا أنصحكما بالتراضي في حَلِّ الخصومة فهو خير من رفع الأمر للقضاء وتوكيل المحامين ، ودفع الأموال ، وتزوير الحقائق ثم الفراق .. مع السمعة السيئة ..!! وعذراً من هذا الحديث فإن مرارته كمرارة الدواء النافع عند اللزوم .

وإن ساءك هذا الكلام فاضبط نفسك ، وَزِنْ تصرفاتك بميزان العقل السليم الذي يهدي إلى الشرع المستقيم، وما قدمت لك هذا إلا لكي تضبط تصرفاتك ولا تسير وراء شهواتك ، وما عليك بأس بمعرفة الخطأ لتجتنبه ، والصواب لتتبعه ، إذن فليكن هذا معلوماً لك ، ونتابع معاً الحديث الذي يوصلنا إلى ليلة العرس المنتظرة .

٥ – ماذا أعددت لليلة العرس المنتظرة ؟

عزيزي : وأنت وهي تنتظران ليلة العرس بفارغ الصبر ، بعد أن أتممتما تجهيز البيت أثاثاً وفرشاً ورتبتما كافة أموره بواسطة الأهل والأقارب ، وأنهيتما شراء الحاجيات الصغيرة والكبيرة ، التي تظنان أو يظن أهلكما أنها لازمة ، و لم يبق عليكما إلا حجز (صالة الأفراح) وتوزيع بطاقات الدعوة لحضور العرس للرجال وللنساء ،وإبلاغ أصدقائكم وأقربائكم الموعد المنتظر .. وتمر الأيام بطيئة في نظرك – أخي الزوج – وتتذكر حاجة وتنسى أخرى ، وتفطن على دعوة صديق أو رفيق عمل أو زميل دراسة، فتدعوه وتتذكر بعض الحوائج فتشتريها أو توصي بشرائها ، ويزداد وجيب قلبك وقلبها وتضطرب أكثر عندما تحس أنك محجوب عن عروسك لا تراها ، وتستبطيء ساعة اللقاء وتتمنى لو تقفز فوق الأيام والساعات التي تستحثها لكي تتجاوز الزمن ثم تكون بجانب عروسك في ليلة الأحلام ، ليلة اللقاء فماذا هيأت لهذه الليلة ؟ وماذا أعددت لهذا اللقاء ؟

ماذا تريد من عروسك أن تكون لك في تلك الليلة وما بعدها ؟

وماذا تريد عروسك منك أن تكون لها في تلك الليلة وما بعدها ؟

هل هناك مسؤوليات أمامكما ؟ هل هناك واجبات عليكما ، هل هناك حقوق لكما أو عليكما ؟

وهل تعيرني سمعك أيها الشاب ، وهل تصغي إلي أيتها الفتاة ؛ لتعلما بعض الذي لكما وعليكما ؟! فتبنيا حياتكما المستقبلة على أسس ثابتة راسخة وتؤسسا أسرتكما وبيتكما الجديد على ثوابت مستقرة فتنعما بالهدوء والهناء ، وتصنعا بيتاً يخيم عليه السرور والسعادة وتكون حياتكما كلها شهر عسل دائم يجري عليكما خيره وهناؤه طول عمركما ؟!

وحتى يحين موعد العرس (ليلة لقائكما على الخير) والسعادة والسرور ، والمحبة والحبور ، إذن فاسمعا مني أيها العزيزان ما يلي : واقرأاه برويّة وتمهل ، وإمعان وتفكر !

أولاً : من أجل سعادتكما المستمرة، ومن أجل ألا ينغص حياتكما منغص داخلي وكيلا يكون واحد منكما أيها العزيزان الزوجان قد تناول مِعْوَلَ هَدْمٍ ولو بسيط يحدث به شرخاً أو شَقّاً في الحياة الزوجية ؛ عليكما أن تعلما علم يقين أن **الرجل والمرأة (وبخاصة بعد أن أصبحا زوجين) كل واحد منهما مكمل للآخر ، فالمرأة جزء من الرجل ، والرجل مكمل لحياة المرأة** . لا أقول هذا من باب الخيال ولا من باب العاطفة بل هذه حقيقة قررها الخالق الذي خلقهما وأبدعهما وصورهما ، وقد قدمت لكما – عزيزي الزوجين العروسين – بعض الآيات التي قررها الحق سبحانه في كتابه ،وهاأنذا أعيدها عليكما لتقرأاها بتدبر وروية قال الله سبحانه :﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من **نفس واحدة** وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾ ١ النساء

وقال الله سبحانه :﴿ والله جعل لكم من **أنفسكم أزواجاً** وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ﴾ النحل ٧٢

وقوله سبحانه وتعالى : {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ **أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا** لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (٢١) سورة الروم .

عزيزي الزوج : هل بعد بيان العليم الخبير بيان ؟ وهل بعد قوله تعالى قول ؟!

غاليتي الزوجة : إذا وعيتما هذا ، **وهو أن كلاً منكما جزء متمم للآخر** ، لا تكمل الحياة الهانئة في الدنيا إلا بلقائهما واقترانهما وزواجهما ، لذلك فليحافظ كل منكما على الآخر كما يحافظ أحدكما على يده ورأسه ، وعينه وصدره ، وكل جزء من أجزاء جسمه ، وليكن كل منكما للآخر إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر .

فإذا حدث خلاف بينكما مستقبلاً ، أو خصومة ، فليكن الحل لاعن طريق بتر الجزء المريض بل معالجته ومداواته حتى يشفى ، **وكن أيها الزوج واعياً لهذا ، فإن مسؤوليتك أعظم حيث أن الله سبحانه جعل لك القوامة على الأسرة والرياسة فيها ، فلا تغفل عن هذا !.**

ثانياً : إن راحتكما وسعادتكما وهناءكما هي بالزواج، لأن سكن النفس والجسم واستقرار العقل والقلب لا يكون إلا به، فمهما كان الإنسان بلا زوجة فهو غير مستقر من هذه الناحية ،

وقد وضح الخالق الحكيم سبحانه هذا في بيانه الرائع بقوله ﴿لتسكنوا إليها﴾ وكيف يسكن الرجل إلى بيت ليس فيه زوجة؟ وكيف يطمئن في حياته ونصفه ناقص ؟!

وكيف تستقر جوارحه وأعضاؤه المضطربة وبعضها غائب عنه مفصول منه ؟! فلا غرابة إذن أن يسعى كل منكما نحو الآخر ليجد لديه سكن نفسه وراحة قلبه ، فحافظا على هذا السكن بدوام العناية به .وترميم ما خَلَقَ (بَلِيَ)منه وصيانة أمر السكن بما أمر به الحق سبحانه وبما سار عليه الزوج المثالي خير الأزواج الحبيب المصطفى ﷺ .[1]

ثالثاً : **إن الرباط الوثيق بينكما الذي لا ينفصم** والذي يكسو الحياة بهجة وسعادة هو الحب الدائم الثابت (**المودَّة**) وهذا **يخلقه الله سبحانه بينكما** ، فقوِّياه ولا تَفْصِماه ، ولا تقطعاه ، ولا تتسببا في توهين عراه ، وتقويض حبال وثاقه .

كما أن الرحمة (الحب الممزوج بالحنان والعطف) هو الإطار الذي يلف حياتكما عندما تهدأ حرارة الحب أو تخبو جذوتها ، فهذه الرحمة هي التي تستمر وتستقر إن هدأ الحب أو انطفأت جذوته ، وهي التي ينمو عليها الأولاد والأحفاد ، ويعيش في ظلها الزوجان بعد أن يبلغا من الكبر عتيا ، ويشتعل الرأس شيباً ،

فلا تنس – أخي الزوج أختي الزوجة – هذه الرحمة التي جعلها الله بينكما مع المودة أوثق رباط لحياتكما الأسروية حالاً ومآلاً ..

رابعاً : **إن لكل منكما (الرجل والمرأة) خصائص ،عزيزيَّ الزوجين** ، وجعل الله في كل واحد منكما صفات قد لا توجد في الآخر مثلما توجد في شريكه .. وهذه نقطة جدٌّ مهمة وعلى غاية من الأهمية والخطورة ، إن أنتما وعيتماها وفهمتماها فإن الحياة الزوجية تستمر بينكما كأحسن ما تكون وأهنأ ما تكون ، فاعرفاها ولاحظاها ألا وهي : **إن الله سبحانه خص الرجل بالأوفر من العقل ، والأقل من العاطفة ، وخص المرأة بالعكس من هذا ، فجعلها أوفر عاطفة ، وأدنى من الرجل عقلاً** ، وهذا لعموم جنس الرجال وعموم جنس النساء ،وقد يكون العكس أحياناً لكن ليس من باب العموم بل من باب شذوذ القاعدة ، فقد يكون بعض الرجال أقوى عاطفة وأقل عقلاً ،والعكس لدى بعض النساء أيضاً أن يكنَّ أوفر عقلاً وأقل عاطفة ، وبالطبع فإن هذا ليس كمالاً لكليهما ولكنه شذوذ عن القاعدة كما قلت ولله في خلقه شؤون وهو الحكيم العليم .

وهذا الذي أقوله هو الحقيقة التي أشار إليها حديث الرسول المعلم ﷺ من باب تقرير أمر واقع نبهنا إليه لنفطن عليه ، ولا ننساه ، ونتعامل بواسطته في حياتنا الزوجية ،وهو بعينه الكمال لكل من الرجل والمرأة ؛ فقد قال عليه الصلاة والسلام : (إن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج ما في الضلع رأسه فإن ذهبت تقيمه كسرته ، فاستمتعوا بهن على عوجهن) وفي رواية (وكسرها طلاقها ، ألا فاستوصوا بالنساء خيراً).

وفي رواية للشيخين ؛ البخاري ومسلم (واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من ضلع ، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً) وقد يعتبر أعداء الإسلام هذا الأمر ثلمة أو نقصاً ، ولكنه ليس كما يظنون بل هو تقرير واقع معاش ، وفطرة طبيعية ،وإذا لفت نظرنا الشارع إلى بعض الأمور الواقعية لنحسن التعامل معها فهل هذا عيب ؟ وإذا قلنا أن المرأة في تكوينها الجسدي غير الرجل فهل هذا نقص ؟ أم يريدون من المرأة ألا تحمل ولا تلد ، ويريدون من الرجل هذا ، إنهم يريدون المرأة متعة جسدية خالصة ولا يريدونها زوجة صالحة ، ولا أماً مربية حتى يُقَوِّضوا بهذا أسس المجتمع المسلم الذي نحيا في ظله ، ونصبح كمجتمعاتهم المنهارة التي فقدت حرارة العلاقات الإنسانية والأسرية وأصبحت حياة الرجل والمرأة على السواء بحثاً عن المتعة واللذة يسعون إليها سعي الأنعام ..

---

[1] – سوف ترى في القسم الثاني من هذا الكتاب أخبار الأزواج والزوجات في القرآن الكريم من الأنبياء ، وزوجات الرسول ﷺ

ولنستمع إلى شرح هذا الحديث الشريف كما قرره أخونا الكبير العلامة الشيخ الدكتور نور الدين عتر في كتابه (دراسات في الحديث الشريف) فقال:وقد جاء نص الحديث بالتأكيد في ذلك فعبر (استوصوا) أي أوصيكم فاقبلوا الوصية،ثم علل هذه الوصية المؤكدة ببيان سببها،وهو اختلاف نفسية المرأة عن الرجل،وبيان الفرق بينهما ويسمى ذلك في علم البلاغة حسن التعليل؛ فَبَيَّنَ الأصلَ الذي خلقت منه المرأة وهو الضلع وهذا يتضمن تشبيه المرأة بالضلع،وهو تشبيه أمر معنوي بأمر حسي. والغاية من ذلك بيان طبيعة المرأة ونفسيتها ، وأنها عاطفية تخضع للعاطفة وتتأثر بها أكثر من الرجل أما الرجل فطابع الفكرة العقلية أقوى فيه من العاطفة ، فلا ينبغي إذن أن يتوقع إخضاع التعامل مع المرأة للمقدمات المنطقية، والاستنتاجات ، لأن العاطفة اندفاع متأثر بالواقع ،لا يخضع كثيراً للمحاكمات العقلية فكان واجباً على الرجل أن يراعي ذلك ،ولا يلزم المرأة بطريقته في التفكير والتعامل .

وليس في الحديث الغض من جانب المرأة،إنما هو بيان لواقعها،بل النبي ﷺ يثني على المرأة بتوفر العاطفة الإنسانية الدافقة ،كما في الحديث (خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش، أحناه على ولد في صغره،وأرعاه على زوج في ذات يده) متفق عليه.

وفي بيان استنباطات الحديث قال العلامة **الشيخ نور الدين عتر** : أهمية المرأة في انتظام حياة الأسرة وسعادتها ، وأنه لا يتم إلا باحتمال الرجل لامرأته ، وإلا عَرَّضَ حياته للتعاسة أو لتفكك الأسرة كما صرح في حديث مسلم (فإن ذهبت تقيمه كسرته وكسرها طلاقها)[1] .اهـ

ولمزيد من الإيضاح أقول لك – أخي الزوج أختي الزوجة – **أن كمال الرجل يكون في الحظ الأقل من عاطفته وكمال المرأة في الحظ الأوفر من عاطفتها؛** فإن الرجل كما بينت في أول البحث يحتاج إلى الخروج من البيت والعمل وملاقاة الناس فلا تصلحه العاطفة ، بل لا يصلحه إلا المزيد من العقل الواعي ، ومعرفة كيد غالب الناس وشرور بعضهم ، حتى يتجنب ما يوقعه في الغبن والغدر ، والكيد والمكر .[2]

أما المرأة فإن الذي يصلحها ويزيدها ألقاً وكمالاً هو هذا الحب المتوفر المنبثق من العاطفة التي تتمتع بها، فيحتاج إليها الزوج المتعب الذي يجدها سكناً وسكينة في بيته ، وراحة وهدوءاً يحسُّ بها لدى زوجته ، وأنساً ولطفاً تتحلى بها شريكة حياته ، **ويجدها الأولاد أماً حانية وسكناً لطيفاً ومأوى لا غنى لهم عنه** فهي التي حملت كرهاً ووضعت كرهاً وهي التي تزودهم بهذا

---

[1] – من كتاب دراسات منهجية في الحديث النبوي والأسرة والمجتمع (ص ٥٢) للدكتور نور الدين عتر ط جامعة دمشق ١٤٠٩ هـ

[2] – قال في كتاب إرشاد الخاطب والمخطوبة إلى الحقوق والآداب المطلوبة ما يلي: الرجل يحتاج إلى الاحترام والتقدير أكثر من حاجة المرأة لذلك ، لذا فهو حساس جداً تجرحه أي كلمة قد تسبب خدشاً لرجولته ، أو يشعر هو منها بذلك الأمر ، فعلى المرأة أن تبتعد عن كل ما من شأنه الإنتقاص من احترام الرجل، أو ما يمكن أن يشعره بذلك، ولتعلم أن الرجل وتبعاً لما ذكرناه قليل الإعتذار عما يبدر منه من أخطاء ، لأنه قد يعتبر الاعتذار إحدى وسائل الانتقاص من الرجولة،لذلك كان على الزوجة أن تَعْذِرَ زوجها في هذا الأمر،ولا تحاول أن تجبره على الإعتذار على أمر ما بدر منه تجاهها ، ولتتسامح معه، خصوصاً إن كان هذا الأمر لا يتكرر، وفي الحديث : (ألا أخبركم بنساءكم في الجنة ؟ قلنا: بلى يا رسول الله ، قال:(كل ودود ولود إذا غضبت أو أسيء إليها قالت : هذه يدي في يدك لا أكتحل بغمض حتى ترضى) .فالمرأة بصفة عامة يسهل عليها الإعتذار بخلاف الرجل وذلك للميل الفطري عند المرأة لكسب ود الآخرين، بخلاف الرجل الذي لا يعول كثيراً على هذا الأمر، فهو يصب اهتمامه حول ذاته ، وتقدير الذات يمثل عنده الشيء الكثير. **الرجل قليل الكلام** ، ولا يحب الثرثرة ، ومعظم كلامه ينصب على الأشياء المجردة مثل الأفكار والمفاهيم ، والمكسب والخسارة، والقيم والمبادىء ، والأمور السياسية والعادات الإجتماعية ونحو ذلك، ولا يستهويه الكلام عن الأشخاص أو المحسوسات كثيراً ، فحاولي أن تتحدثي معه بعض الوقت عن الأفكار وما يجب أن يتحدث عنه ، ولا تجبريه طوال الوقت أن يستمع إليك في حكايات طويلة عن الأصدقاء والأصحاب، ونحو ذلك حتى لا يمل . اهـ ص٥٩ – ٦٠

الحب وتلك العاطفة الفياضة ، وتربيهم وتسهر عليهم وتنظفهم ، وترضعهم عطفاً ولطفاً ، إلى أن يشُبُّوا ويكبروا على هذا العطف واللطف (الحب والحنان) .

فإذا فهم الرجل هذا في شريكة حياته ، وفهمت المرأة هذا في شريك حياتها وتعاملا على أساسه فقد فَقِها بعض أسرار الحياة الزوجية وأدركا جوانب ذات أهمية بالغة في بناء الأسرة واستمرار المودة والرحمة بينهما، إذ إن أغلب الخلافات والشقاق بين الزوجين ناتج عن عدم فهم هذه الناحية المهمة في طبائع الرجل والمرأة ..

بناءً عليه : فاذكر أخي الزوج وصيته ﷺ بالنساء عندما قال: (استوصوا بالنساء خيراً) وتذكر أيضاً أن قوله (النساء شقائق الرجال) وصية بالغة لك حتى لا يشتط بك التسلط وتطغى بك الأنانية ويستولي عليك حب الرئاسة فتريد من الزوجة أن تكون عبداً رقيقاً أو أجيراً وضيعاً ، أو أسيراً مهيناً .تريد منها تلبية أمرك فوراً كأنها آلة إذا أدرت مفتاح التشغيل استجابت لك كما تستجيب آلة التسجيل أو غسالة الأتوماتيك . أليس كذلك ؟

لا ؛ لا ، عزيزي الزوج إنما هي مجموعة عواطف مشحونة بالرغائب والآمال ، تنشطها الكلمة الطيبة من ثناء وشكر أو مديح وحسن ذكر ، ويثبطها القول السوء ، من سب أو شتم ، وتحقير وضرب، وإعراض وسوء عتب ، كما أن طبيعتها التي فطرها الله عليها بوفور العاطفة تجعلها لا تنسى سريعاً كما ينسى الزوج الأسى والمصيبة ،والحزن والكآبة، فلاحظ هذا **عزيزي الزوج الغالي** في طبيعتها ، واعذُرْها ونَشِّطْها ،كما أن طبيعة الدورة الشهرية تُمْرِضُها وتهدُّ عافيتها فاعذرها أثناءها، ولا تكلفها إذا أتاها ما يأتي بنات جنسها من حيض أو نفاس مما أعفاها الحق سبحانه أثناء حصوله من أهم العبادات، فقد أسقط عنها الصوم والصلاة أيام الميعاد وهما ركنان من أركان الدين ؛ فكن ربانياً في تعاملك معها ولاتكن نفسانياً شيطانياً، فإن المؤمن الفطن يتخلق بأخلاق الرب سبحانه كما أوصانا بذلك بقوله ﴿ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾ .

واذكر دائماً الوصية النبوية أهن (شقائق الرجال) واذكر أيضاً بخصوص هذا الموضوع قوله ﷺ :(**لا يَفْرَكْ مؤمن مؤمنة ، إن ساءه منها خلق سره منها آخر**) ولا يَفْرَكْ معناه :لا يغضب منها ولا يحقد عليها،وليتذكر أن لها أخلاقاً حسنة وصفات صالحة تغطي هذا الذي ساءه وأغضبه. **وهذا لعمري قاعدة عظيمة، وإرشاد نبوي رائع، إلى حسن التعامل بين الأزواج** ..

ولتذكري **عزيزتي الزوجة** أيضاً أن الرجل (زوجك) الذي تريدين تحميله مالا يطيق بشرٌ أيضاً يغضب ويرضى ، ويتعب ويَنْصَب،ويحب ويكره،وأنه في بعض أموره قد يخرج عن طوره وبخاصة إذا لم يُستجبْ طلبه، أوكان في حالة التعب والإرهاق قادماً من عمله ، أو كان في ذهنه أمر ما وحاجة إليك ، إذ كان طوال يومه يهيء لها ويخطط من أجلها ، ففاجئتِه بإبطالها ، أو عدم استطاعتك لها، فأحْسِني الإعتذار وقدمي من حسن التبعل ما ينسيه حاجته وعوضيه عنها خيراً منها، وأنت الفطنة الذكية واللبقة المحبة .

وقد يتجاوز زوجك حده في الغضب فانحني عند العاصفة،وتلاطفي عند الغضب،واهدأي عند هيجان الحفيظة؛وبكلمة ناعمة وبسمة رقيقة ومداعبة لطيفة بعد الغضب تنالين منه ما تريدين لأن الغضب نار مستعرة فأطفئيها بما قلت لك ، ولا تؤججيها بعنادك وصدِّك ، ووقوفك أمامه كالنِّدِّ المُغاضِب ، أو كالعدو المخاصم .

واذكري أيضاً محاسن صفاته ، وجميل أخلاقه وتناسي ما يسوؤك منه حتى تزول أسباب الخلاف واذكري أن هذا الغضب من الشيطان قال الله سبحانه معلماً ومربياً لنا ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾

وقال سبحانه ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ فاستبدلي سَيِّئَةَ الإعراض عنه والوقوف في وجهه ، بحسَنَةِ ملاقاته وطيب إرضائه، فإذا كانت الحسنة تجعل العدو البغيض صديقاً حميماً ، فكيف بهذا الزوج الحبيب صديق الحياة وشريك العمر ؟! فاصبري وتحملي بالقول والفعل حتى تكوني من ذوي الحظ العظيم .

واذكري رحمة الله بك وبه، والرباط الوثيق الذي جمع بينكما وما هي إلا لحظات حتى تعود الميـــاه إلى مجاريهـــا وتهـــدأ العاصفة ، وتنعمين وإياه بالنسيم العليل !..

خامساً : **اذكر أخي الزوج أختي الزوجة؛ قبل لقائكما في ليلة العرس أن لكل منكما والدة** تعبت وسهرت ليالي عليكما لم تنم فيها ، أذكرا سهرها عندما يمرض الولد وتعبها عندما تحمله ، وألمها عندما تضع وليدها ، وكثرة انشغالها وضَرَّائها في التنظيف والعناية والإرضاع والفطام، وطول سهدها في التربية والمداراة، وملاحقة أمر الأولاد ، حتى كبر الولد وشب وصار فتىً يافعاً ، وشاباً يانعاً ، وكيف بحَثَتْ واجتهدَتْ حتى اختارت له بنت الحلال التي سوف يضمها هذه الليلة إليه ، ويترك حِجْرَ أمه وحنانها فينسى في أحضان زوجته (المرأة الجديدة) حب أمه وحنانها (المرأة القديمة)

كذلك تذكري أختي الزوجة ؛ أُمَّكِ التي عانت مثل ما عانت حماتُكِ ، وجَهِدَتْ مثلما جَهِدَتْ أم زوجك ،

أذكرا عزيزيَّ هذا جيداَ ، وفكّرا فيه ملياً فإنها سنوات غير كثيرة وتصبحين أماً وحماة فماذا أنتما صانعان ؟

عزيزي الزوجين الكريمين : لا أذكر هذا لكما لأنغص عليكما ليلة عرسكما وشهر عسلكما ، ولكن أذكِّرُكما بالأم حتى تعرفا قيمتها وتقدراها قدرها ، وتنعما بالسرور المديد والسيرة الحميدة **فكن عزيزي الشاب الزوج** بارّاً بأمك منذ هذه الليلة وتعطَّف وتلطَّف معها ولا تقل لها أف، فإن هذه الليلة ليلةٌ ذاتُ حساسية خاصة؛ فيها ترى الأم ثمرة الفؤاد (أنتَ) اقتُطِعَتْ منها ووُصِلَتْ بغيرها، فكن واعياً لما أقول فطناً لما أوصيك به ، فزد حنانك وعطفك وبرك لأمك هذه الليلة وأطعها فيما لا يغضب ربك وفيما لا يكون ظلماً لزوجتك ، وكن حكيماً في تعاملك معها ومع زوجتك منذ تلك الليلة وإلى ما بعدها ؛

وكوني غاليتي الفتاة (الزوجة) أيضاً حكيمة في تصرفك واعتبري منذ اليوم الأول أنه قد أصبح لك أماً جديدة، ووالدة مع والدتك ، فأكرميها وأعيني زوجك على برها وإكرامها وهيئي لها الهدايا اللطيفة دائماً والكلمات الحلوة الرقيقة ، **واعتبري رضاها على زوجك ودعواتها له زاداً وخيراً وتوفيقاً لحياتكما** ..

واذكرا أيضاً الوالد فقد أصبح لك عزيزي الزوج والداً جديداً هو والد زوجتك فعليك احترامه وتكريمه ، كما أن أبا زوجَكِ ؛ غاليتي الزوجة ، أصبح أباً لك وعماً ، فعليك إن كنت في بيته أن تتعهدي خدمته وإكرامه ، وتحيته واحترامه هو وزوجته (حماتك) فإنك إن راعيت هذه الوصية وأَلَنْتِ الجانب وتلطفت بالقول، واجتهدت في خدمتهما مع خدمة زوجك فقد كسبت قلبيهما ، وحصلت على دعواتهما ، وحبهما وبرهما ، فكوني لهما بارة كبرِّك لوالديك وأكثر ، وراعي راحتهما وابتعدي عما يزعجهما ، فإن الكريمَ البارَّ هو الموفق ، وإن خدمة الوالدين شرف ، وطاعة الزوج دين ومن أحب للناس ما يحب لنفسه فقد استوجب حبهم وتكريمهم .

ومن العجائب أن بعض الأمهات ــ وهن قليلات ــ لا تروق لهن الحياة بعد تزويج أبنائهن إلا بأمر ولدها أن يضرب زوجته أمامها وتستمتع هي بهذا الظلم لترضي غريزتها غير الإنسانية ، وكم شكت إلينا الزوجات من صنيع أزواجهن غير الشرعي هذا وهن في دار الغربة ولا حول لهن ولا قوة ؟ !فلا حول ولا قوة إلا بالله . ومن باب التذكير بالخير ،والحض عليه

أسوق لكما عزيزي الزوجين – قصيدتان – وأظنكما سمعتماهما منشَّدتين الأولى عن الأم ، والثانية عن الزوجة ، للأخ الصديق الشاعر المنشد محمد منذر سرميني حفظه الله ؛ حيث يقول عن الأم :

يا أمـــي أنت سقيتيني لبـــن التوحيد مـــع الفطـــر ة
وغرست حنانك في صدري من أول رشفيَ للقطـــرة
ونفحت أريجـــك إيماناً كالـــورد إذا أهدى عطـــراً
من مثلـــك يا أمي قـــدرا ؟! أقدامـــك تاج للغـــرة

❁ ❁ ❁

من غيـــرك يا أمي يَقِـــظٌ في الليل إذا هجـــمَ الكرْبُ
من مثلُكِ يا أمي قَلِـــقٌ من دائيَ إن عَجَزَ الطـــبُّ
لو صحَّ سجوديَ يا أمي في حبُّك ما امتنـــع القلب

❁ ❁ ❁

في حقـــك آيات تتلـــى مـــرَّ الأيام ((ووصَّينـــا))
لا يقدر أحـــدٌ إيفـــاءاً لحقوقِـــك مهمـــا أدَّينـــا
لكنَّ فـــؤادك إحسانـــاً كم يرضى عنـــا وعلينـــا

❁ ❁ ❁

وأما عن الزوجة الصالحة فإليكما ما قال :

رسول الله قد سن الزواج لكثرة النسل فبادر يا أخا الإسلام واخطب ابنة الأصل
يزيِّن قَدَّهـــا دينٌ كساهـــا حُلَّةَ الفضل وأعطى طيبَ مبسمها عبيرَ المسك بالقول
فتاةٌ قلبها سكنٌ يضم الزوج في حِلِّ
حباها الدين أجنحةً تطير بهـــا إلى عِلِّ جناحٌ كله أدب ولطـــف عزَّ عن مثل
وجنح إن أتى ليلٌ رأيت النورَ في الليل تراها في تَبَتُّلها مَلاكاً طاف من حولي
تصلي الليل خلف الزوج تدعو الله في ذلِّ
كتاب الله شاغلها لكي تنأى عن الجهل ترى إن أنهت الأعمال ضمن البيت في شغل
إلى القرآن ترتاح وتتـــلوه على مَهْـــلِ فيخشع قلبها حيناً وطوراً شوقـــها يـــغلي
لما في الآي من سحر لران القلب كم يجلي
تؤدي واجب الله وترضي الزوج بالفعل أَلَذُّ سُوَيْعَـــةٍ لَّما تُـــهيِّئُ راحة البَعْـــلِ
تحاول دائماً حباً لغرس الحب في الأهل تعين الزوج كي يرقى لبر الأم بالوصل
فتغدو في أصالتها إليها الكل في مَيْلِ

❁ ❁ ❁

كلمات من دم ودمع :

وبمال أن الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها التقطها ، فقد أعجبني هذا المقال المناسب لموضوعنا وهاأنذا أثبته بحروفه من مجلة العربي الكويتية [1] بعنوان (**كرامة أم**) نشر في الباب الثابت من عناوينها وهو مناسب أيضاً لكتابنا وعنوانه (مساحة ود) وإليك هو بحروفه :

عندما كنت صغيراً يا قرة العين لم تكن ترضى بابتعادي عنك ولو للحظة واحدة ، كنت تلاحقني من حجرة إلى حجرة وتمسك بثيابي وتشدني كي أبقى بجانبك لنلعب ونلهو ونحكي ونضحك ..

عند خروجي كنت تثور وتصرخ إلى أن أعود فتعاتبني وتبكي على صدري وترجوني ألا أتركك مرة أخرى فأضمك إلى أحضاني وأقبلك وأشرح لك أن الضرورة هي التي أخرجتني وإلا لما كنت تركتك لتحزن وتبكي .

وكثيراً ما اعتذرت وتأخرت عن الدعوات والمناسبات لأبقى بجانبك ولا أقلق ببعدي عنك ..

وكثيراً ما كنت تصحو ليلاً وتبكي فكنت أنتفض وأنهض عن سريري لأحملك على كتفي إلى أن تهدأ وتنام فأضعك على سريرك برفق وأقبل خصلات شعرك بحنان وأتلو عليك ما استطعت من آيات الحفظ والأمان .

أما عند مرضك فلم تكن عيني تعرف معنى المنام وكلما رأيت قواك تخور أمامي كنت أنهار وأصلي لله وأطيل السجود متضرعة له بأن يشفيك ويقويك .. ما شكوت يوماً سهر الليالي وتعب الأيام وما توانيت لحظة عن القيام بحقك وتلبية رغباتك ، ولم يشغل خاطري أبداً قلق منامي ووهن عافيتي ، كل ما أردته هو سعادتك وتوفيقك .

وتحقق حلمي ، وأنا أراك اليوم رجلاً ناضجاً قوياً .. ناجحاً سعيداً . أما أنا فقد هرمت ، واعتلى الشيب رأسي .. ورسم الزمان تجاعيده على وجهي ، وبدأت الأمراض تسلك دربها إلى جسدي .. وتوقعت يا قرة العين منك الحنان والاحتواء ليس رداً للجميل فما فعلته كان واجبي ولا أنتظر له شكراً ولا عرفاناً . توقعته لأجل الحب الذي جمعنا والدم الذي يجري في جسدينا ، توقعته لأجل السعادة التي عشناها وعشرة السنين التي طالت واقتسمناها .

وتحدَّر الدمع من عيني واختنقت العبرات في صدري حين وجدتك تتضجر من كلماتي وتتأفف لكبر سني وتتهرب بأعذار واهية لتبتعد عني وعندما يشتد مرضي أعرف بأنك بينك وبين نفسك تتمنى لي الموت وتعجيل خاتمتي ..

بني الحبيب .. لا تقلق عليَّ ولا تضيّع وقتك الثمين بجانبي فمن الواضح أنك تجاملني ولحظاتك لم تعد تسعني . إرحل يا قرة العين ولا تتكلف محبتي وحين تشعر بأنك مشتاق إليَّ فعلاً تعال لأضمك من جديد إلى صدري .

إرحل وسأطلب من الخادمة أن تتصل بك حين يأخذ الله وديعته ويقبض روحي ..

إرحل فالله غني عنك وأحن منك وهو الباقي لي بعد فراقي للدنيا وبعد فراقك . ا هـ

سادساً : **هذا الذي ذكرته آنفاً إنما هو من طاعة الله سبحانه وابتغاء مرضاته وطلب لطفه وتوفيقه** ، ولا يكون هذا إلا بتحَرِّيكما عمل ما يرضيه سبحانه والبعد عن معصيته ، ألا فاعلما أن خشية الله سبحانه أهم من خشية غيره قال سبحانه : ﴿فلا تخشوا الناس واخشون ﴾ وقال تعالى ﴿ والله أحق أن يرضوه ﴾

لذا ؛ فليكن رائدكما بُنْيَانَ حياتكما ، ومنذ الليلة الأولى ، على طاعة الله سبحانه والبعد عن معصيته قال سبحانه ﴿واتقوا الله ما استطعتم ﴾ فاحذرا أشد الحذر أن تبنيا حياتكما الجديدة على معصية الله سبحانه ؛ قال سبحانه وتعالى ﴿ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان كمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم ﴾ التوبة

---

[1] - عدد (٥٥٦) محرم١٤٢٦الموافق آذار٢٠٠٥ص (١٧٨) الكاتبة رانية عبد الرزاق من الكويت .

وعليه فليلاحظ ؛ أن العرس وهو ليلة البناء الأولى في حياة الأسرة ،واللبنة الأولى في بنيانها، يجب أن يقوم على طاعة الله ومرضاته لا على معصيته وغضبه ، فليقرأ هذا الآباء والأزواج والأمهات والبنات والزوجات والأخوات والخالات والعمات ، فإن الفرح لا يعتبر فرحاً إذا كان على معصية الله وغضبه ، وكيف يفرح العاقل بإغضاب من له عليه واجب الطاعة وله المنة والفضل بالنعم والرزق ، والمدد المتواصل بالعناية واللطف . وكيف يمكن للعاقل الفطن ، والمؤمن التقي أن يجعل فرحه بمعصية الله ؟

فاحذر أخي المؤمن من إقامة العرس على المعصية وغضب الله فإن المؤمن يفرح بما شرعه الله سبحانه ، ولا يظنُّ ظَانٌّ أن الأعراس يجب أن تقام على غضب الله ، بل إنها تقام على طاعة الله ومرضاته ، والعرس الإسلامي أهنأ ولله الحمد وأكمل وأجمل من أعراس الذين لا يقيمون لرضا الله سبحانه وزناً ؛ فيؤسسونها على الخمور والفجور والمعازف والطبول وآلات اللهو وغضب الله وسخطه ..

أما المؤمن المحب لله فإن في أعراس المؤمنين له فسحة ؛ فالأناشيد والأغاريد وضرب الدف (المزهر) ورقص السماح ورقص الرجال ، ولعبهم بالسيوف والدرق ، كل ذلك وارد في الأعراس التي يقيمها المؤمنون ويفرحون بها ويسرون ، وكذلك بالنسبة للنساء فلهُنَّ أن ينشدْنَ ويزغرِدْنَ ، ويفرحْنَ ويَهْزُجْنَ ، مع ستر العورات عن بعضهن ، وعدم كشف ما لا يحل ، ولا مانع من ضرب المزهر والغناء الذي لا فحش فيه ولا رفع صوت يسمعه الرجال الأجانب ، **ألا فَلْيلاحَظْ هذا في أعراس النساء !** وليكن الصوت غير مسموع ، والزينة غير ظاهرة لمن لا تحل له ..

وقد استأذنت السيدة عائشة رضي الله عنها زوجها رسول الله ﷺ في حضور عرس من أعراس الأنصار فأذن لها وقال (يا عائشة ما كان معكم لهو ؟ فإن الأنصار قوم يعجبهم اللهو، وفي رواية (فهل بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغني ؟ فقالت عائشة نقول ماذا يا رسول الله ؟ قال :قولي:

أتيـــنـــاكـــم أتينـــاكم فحيُّـــونـــا نحيِّـــيكـــم

ولولا الذهـــب الأحـــ ـــمر ما حَلَتْ بواديكـــم

ولولا الحنطـــة السمـــرا ء ما ســـمنت عذاريكـــم

أي أنشدي ما ينشده الناس من هذه الأهازيج والأغاريد التي يظهر فيها المرح والفرح ثم قال لها : هذا ليعلم اليهود أن شريعتنا سمحة وأن في ديننا فسحة). ألا ما أعظم هذا المعلم المربي عليه صلوات ربي وسلامه عليه الذي يعلم أم المؤمنين كيف تشارك في أعراس المسلمين ، وتدخل على قلوبهم الفرحة والسرور ..

وهذا الأمر ؛ أمر العرس وإقامته على طاعة الله سبحانه يُهَيَّأُ له قبل أيام ، ويتفق بشأنه مع الأهل والأصدقاء ، ويوصي به من يقوم على أمر النساء من أخوات وعمات وخالات ، معلنين للمدعوات بأن عرسنا سيكون بحمد الله وفضله ، خالياً من كشف العورات وارتكاب المحرمات وسماع آلات اللهو والمعازف التي حرَّمها إسلامنا ونهى عنها ديننا ، وحذَّر منها رسولنا الكريم ﷺ حينما قال محذراً (لَتَسْتَحِلُّ أمتي الحِرَ والحرير والخمر والمعازف) والحر : الزنا ، رواه البخاري .

وإذا علم المدعوون أن القائمين على العرس ملتزمون بآداب الإسلام وأن العروس هي التي تطلب هذا مع أهل زوجها ، وهم يستبدلون المعازف بالدُّفِّ المأمور به فإن هذا يكون دعوة عملية وإرشاد للناس إلى الخير والحق ، وبأنه من الممكن أن يقام

العرس على طاعة الله وأن يُسَرَّ الحضور به ، ويفرحوا ويكون حضورهم طاعة لله ؛ لأن فيها إدخال السرور على قلب الأهل وامتثال أمر النبي ﷺ بالإنشاد اللطيف البريء من الكلمات المبتذلة والمعاني السافلة التي تروج بين من لا يلتزمون الخلق والدين .

وقد أصبحت والحمد لله أعراس المؤمنين للرجال وللنساء تقام على طاعة الله ورضوانه في طول البلاد وعرضها و لم يبق هناك مشكلة في استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير .

سابعاً : وغَنِيٌّ عن هذه التوصية عزيزي الزوج ، أن أذكِّرك بألا تطيل على نفسك وإخوانك في السهر ليلة العرس ، فإن الكاملين من المؤمنين قد عرفوا قيمة الوقت ، وأصبحت الحفلات تختصر في أكثر البلدان ، فيكتفي فيها بساعتين أو ثلاث يمرح فيها الشباب ويفرحون مع المنشدين ، وتلقى فيها الكلمات الملائمة لهذه المناسبة ، ثم ينفضُّ الجمع ويزف العروس إلى عروسه، وقد بقي لديه شيء من الراحة و لم يستهلكها تعب يوم العرس وليلته ، فيجلس فيها بعد انتهاء العرس مبكراً مع عروسه بين والديه ومحارمه فقط، ودون أن يكون معه كعادة الجاهلية إخوته أو بني عمه، فإن هذا الأمر من (**دخول الأخوة وأولاد العم مع العريس على عروسه ، يأباه المسلم الغيور كل الإباء ويرفضه كل الرفض بعد أن حذر منه الرسول الكريم بقوله (إياكم والدخول على النساء ، قالوا : يا رسول الله أرأيت الحَمْوَ (أقارب الزوج) قال : الحمو ، الموت)** فهذا في غير حالة العرس منهي عنه ومحذر منه، فكيف في ليلة العرس والعروس بأبهى زينتها هي وقريبات الزوج وأصدقائهن؟ فإن هذا يأنفه طبع المؤمن الغيور على عرضه ودينه ، وقد امتنع عنه الشباب المسلم والحمد لله على ذلك .

ثامناً : كما أحذرك أشد التحذير أن يورد على لسانك ما يفعله جهلة الناس ويتلفظون به في حال مزاحهم وأحاديثهم من حلف بالطلاق قبل الزواج وبعده ، ألا فابتعد عن هذا ، واعلم أن الطلاق يمين الفساق ، وإن التقيَّ العاقل لا يحلف بالطلاق ، ولو كان لتأكيد فعل يريده أو لتشديد النهي عن أمر يكرهه من زوجته أن تفعله، ألا فاعلم أخي العاقل أن التلفظ بألفاظ الطلاق ولو كنت مازحاً فإنها تنتج آثارها ،وهي كاللعب بالنار ، أو القرب من الألغام والمتفجرات ؛ فكن حذراً من التلفظ بألفاظ (الطلاق والحرام) فإن الشارع جعلها حلاً لمشكلة عدم استمرار الحياة الزوجية ، وليس يميناً لتأكيد الأفعال ، وإنما تكون بعد التروي والهدوء ، فيتلفظ الزوج بلفظ الطلاق ولمرة واحدة فقط بعد أن يكون عزم على فراق زوجته وعرف أنه بذلك اللفظ سيفارقها ويؤدي إليها حقوقها من المهر المعجل والمؤجل ونفقة العدة ..

لذلك أحذرك أخي الزوج العاقل الفطن من هذا كله ، ولا تقل إني تلفظت بالطلاق حالة الغضب ، وسأذهب إلى عالم يحللني من يمين الطلاق ، فإنك ستفرِّطُ بحقٍ جَعَلَهُ الشارع لك ، إذا استعملته في غير موضعه ، وكثير من الناس تجري ألفاظ الطلاق على ألسنتهم بطريق اللغو أو الغضب من فعل قامت به الزوجة ، أو للنهي عن أمر لا يريده الزوج منها ، أو يعلِّقُون الطلاق على أمر تفعله كقوله لها : إن فعلت كذا فأنت طالق أو إن لم تفعليه فأنت طالق ، أو عليه الحرام إن فعلت كذا ، فكل هذه الألفاظ خطرٌ عليك وعلى حياتك الزوجية ، ومهما تلفظت بواحد منها فوقع الأمر المنهي عنه فقد وقع الطلاق مرة وبقي لك مرتان فإن حلفت بالثلاث فقد وقع الثلاث ، ولا تغتر بقول من يقول إن الثلاث إن كانت للتأكيد فهي يمين وكفارته كفارة اليمين ، فإن جمهور علماء المسلمين من الأئمة الأربعة يوقعونه ثلاثاً ، إلا من خالفهم وشذ عنهم .

وعلى كل حال فإني أحذرك أخي المؤمن من هذه الألفاظ في حال الغضب أو الرضا والمزاح والجد ، وإن وقع معك شيء من هذا فاسأل عالماً تقياً ممن يُعْرَفُ بعلمه وتقواه وصلاحه ، أو راجع دائرة الإفتاء في بلدك مستفتياً عما وقع منك ..

وأخيراً: لا أحب أن أعكر عليك صفو أحلامك السعيدة وأنت تتهيأ لليلة العرس المنتظرة ، ولكن هذه تنبيهات وملاحظات أقدمها بين يدي زواجك وقبل أن تبني بزوجتك وتنتظر وإياها ليلة العرس المرتقبة .

تاسعاً: تذكر أخي الزوج أختي الزوجة أنه لابد لكل جمع (اثنان فما فوق) من أن يكون لهم أمير مسؤل عليهم يدير شؤون اجتماعهم وافتراقهم وحياتهم في لقائهم وغيبتهم ، وقد أعطى الله سبحانه هذه المسؤولية والأمارة للرجل فقال سبحانه وتعالى :﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا ﴾ الآية

لذلك عزيزتي الزوجة ؛ فقد أراحك الله من هذه المسؤولية (القوامة) لتتفرغي لما هو أهم منها ألا وهو كيف تجعلين بيتَ الزوجية (جنةَ الدنيا) ؟ كيف تأسرين قلب هذا الرجل الذي مضى عليه سنين وهو يحلم بك ملكة بيته ، وأميرة أحلامه ، وعروس حياته ؟ كيف تجعلين هذا الرجل الذي أوقع الله سبحانه حبه في قلبك ، وحبك في قلبه وربطكما بالمودة والرحمة كيف تجعلين بيته أحلى بيت في عينه ، وتكونين أجمل امرأة في نظره !!

أتظنين أن الزوج المعلم رسول الله ﷺ لم يرشدنا إلى ذلك قولاً وفعلاً ؟ ! بلى إنه أرشدنا فعلاً بأن كان أعظم زوج بل خير زوج عندما قال (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي) وعندما حدثتنا كتب السيرة أنه كان أوفى الأزواج لزوجته الأولى خديجة التي ملكت وملأت حياته حباً وعطفاً ومناصحة ولطفاً ، ومعاونة على أعباء الحياة ،كانت له أعظم زوجة في الدنيا ؛ في أشد ظروفه التي عاشها في مكة يتحمل إيذاء المشركين وصدهم وعداوتهم وسخريتهم وتكذيبهم ، فكانت تمسح بيدها الحانية تعبه وبكلماتها العذبة ألمه ونصبه،وكانت بحسن تبعلها وجميل تعاملها تنسيه كل ما يلقى من المشركين من أذى، وكان أفضل وأوفى زوج لها حتى إنه كان يذكرها بعد وفاتها متأسفاً على أيامها ، مترحماً عليها ، يملأُ قلبه الحنين إليها ، والوفاء لها ، روى الإمام أحمد بسند جيد عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة ، أثنى عليها فأحسن الثناء . قالت : فَغِرْتُ يوماً ، فقلت : ما أكثر ما تذكرها ، حمراء الشدقين ، قد أبدلك الله خيراً منها ،

قال : لا .ما أبدلني الله خيراً منها ، لقد آمنت بي وكفر الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس ، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله تعالى أولادها إذ حرمني أولاد النساء) أخرجه الإمام أحمد (ج٦ ص ١١٧) .[1]

لذلك عزيزتي الزوجة فليكن حُسنُ تَبَعُّلك لزوجك وحسن المعاشرة هـــدفك وهو الذي يجعل زوجك أسيراً لك، يعيش في ظل كلمتك الحلوة وبسمتك اللطيفة، وهيئتك الأنيقة، ونظافة بيتك المستمرة، وجمال ترتيب أثاثه، ولذة لقمة الطعام التي تصنعها أناملك ، وحسن المظهر الذي تظهرين أمامه ، وأمام ضيفاتك ،وحسن اللقاء الذي تلاقينه به كلما دخل بيته فيحسُّ **أنه يعيش فعلاً في جنة أحلامه التي يرى فيها كل يوم جديداً..**

وهذا الذي أقوله هو الذي أوصى به الحبيب المصطفى لمندوبة النساء (أسماء بنت يزيد) التي أرسلها نساء الصحابة إلى الرسول الكريم ﷺ عندما اجتمعن في المسجد وبعثنها فخاطبت الرسول المعلم ﷺ قائلة :يا رسول الله : أنا وافدة النساء إليك ، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال ، فإن أصيبوا أُجِرُوا ، وإن قُتِلوا كانوا أحياءً عند ربهم يرزقون ، ونحن معاشر النساء نقوم عليهم فمالنا من ذلك ؟ قال رسول الله ﷺ (أبلغي من لقيت من النساء أن طاعة الزوج واعترافاً بحقه يعدل ذلك ، وقليل منكن يفعله) رواه البزار ،

وفي رواية الطبراني : فقالت : إني رسول النساء إليك ،وما منهن امرأت علمت أو لم تعلم إلا وهي تهوى مخرجي إليك ؛ الله ربُّ الرجال والنساء وإلههن ، وأنت رسول الله إلى الرجال والنساء ، كتب الله الجهاد على الرجال ، فإن أصابوا أجروا ،

---

[1] – وانظر في القسم الثاني من هذا الكتاب (زهرات من بساتين رسول الله ﷺ) سيرته مع زوجاته الطاهرات وقصة زواجه ﷺ بكل واحدة منهنَّ .

وإن استُشْهدوا كانوا أحياءً عند ربهم يرزقون ، فما يعدل ذلك من أعمالهم من الطاعة ؟ قال : طاعة أزواجهن ، والمعرفة بحقوقهن ، وقليل منكن يفعله) [٢]

لذلك أختي المؤمنة عزيزتي الزوجة كوني من هؤلاء القلائل (وقليل منكن يفعله) بل كوني رائدة لهن في حسن التبعل الذي ذكرت لك بعضاً من جوانبه ، فذكاؤك وفطنتك تكملُّه في النهار ، وتضيف عليه في الليل أطيافاً من السعادة والسرور واللذة الحلال والسكن والحبور لا يجدها إلا لديك ..

واضبطي نفسك عند غضبه وتعبه ، ولا تقابلي السيئة بالسيئة ولا غضبه بالحرد والزعل ، فتذهبي غاضبة حردانة إلى بيت أهلك ، وتضَخِّمي الأمر عليهم وتنسيْ جميل أخلاقه وحسن معاشرته ، فإنك بذلك تكونين قد ساهمت في خراب بيتك بيدك ، ألا فاحذري هذا أشد الحذر !

عزيزي الزوج وكن أنت فاضلاً في قوامتك على الأسرة كاملاً في تعاملك مع هذه الزوجة التي بذلتَ الغالي والرخيص حتى ضممتها إلى بيتك ، كن رجلاً فاضلاً في تعاملك معها ومع الأولاد متأسياً بخير الأزواج سيدنا رسول الله ﷺ الذي كان خير الناس لأهله ؛ يكون معهم كواحد منهم؛ يقوم بخدمة بيته ، يشارك في مهنة أهله ، يعينهم في أمور البيت ، يلاطف هذا ويمازح ذاك ، يحلب شاته ، يرقع ثوبه ، يَخْصِف نعله ، يعين في حوائج البيت ،كل هذا كان الرسول المعلم حتى ملك قلوب زوجاته جميعاً وتنافسن على إرضائه .

وباختصار أقول لك : ألا تحب زوجتك ؟ ألم تبذل الكثير حتى وصلت إليك ؟ إذن ! لا تنسَ أن الشيطان لكما بالمرصاد ، ولا يحلو له إلا أن يزعجكما ، ويخرب بيتكما ، فكن واعياً حذراً من مَكْرِهِ ، واعلم أن الغضب وسيلته إلى هدم بيتك أو تخريبه ، فكن حذراً وكن عاقلاً عند الغضب ؛لأن الغضب بوَّابَةُ الجنون ، واعلم أن عقلك الكبير الواعي يتجاوز كل الأمور الصغيرة ، ويستوعب الكبيرة ، ولا يحملنك الجوع إن تأخر الطعام على فعل مالا يرضى عنه العاقلون ، ويندم عليه الرجل الكامل الفطن ، ولا يسوؤنَّك منظر زوجتك إن لم ترها كما تحب عند قدومك إلى البيت ؛ فتقطِّبَ وجهك وتعبسَ في وجهها، ولا يحملنك تأخر تلبية طلبك أن تنسى فضلها عليك،أو لياليك الحلوة معها وأيامك الجميلة التي قضيتها بصحبتها.. بل التمس لها عذراً ، وأوجد لها كل جواب مقبول ، قبل أن تعتذر هي إليك ، أو تبين لك سبب تأخرها أو مخالفتها .. واعلم أن الحياة المستقيمة المستمرة بالسكينة والسعادة هي التي يلتمسُ فيها كلٌّ من الزوجين عذراً للآخر ، ويتناصح فيها الزوجان المحبان كلما وجدا حاجة للتناصح .. ويتذاكران فيها ما يرمم سعادتهما ، ويعيد الأَلَقَ والبهجة إلى حياتهما كلما احتاج الأمر إلى ذلك ..

إن المناصحة والمذاكرة في شؤون الأسرة والحياة وفي أوقات خالية من المشاغل وعلى رويَّةٍ وهدوء يمد الحياة الزوجية بأسرار الديمومة والاستمرار مع السكن والسعادة بتوفيق الله ورضاه ، وهكذا يفعل المحبون ، وهكذا يعيش المتناصحون ..

---

[٢] – انظر هذا الحديث وأمثاله في الترغيب والترهيب للحافظ المنذري كتاب النكاح ،فصل ترغيب الزوج في الوفاء بحق زوجته وحسن عشرتها والمرأة بحق زوجها وطاعته .

٦ – آداب الزفاف (ليلة العرس):

ومن الطبيعي – عزيزي الزوج – أن تكون في هذه الليلة مع إخوانك في أحد بيوت أصدقائك أو أقربائك أو في صالة من الصالات المعدة للأفراح مجتمعين تنشدون وتمزجون ، وتستمعون إلى من ينشد لكم أناشيد العرس ، وأغاريد الفرح وقد أوصيتك في فقرة سابقة ، ألا تطيل السهر هذه الليلة كما يفعله بعض الناس فيسهرون في الأعراس حتى الصباح ، ثم يذهب الرجل إلى عروسه متعباً ، مهدود القوى غلبه النعاس ، لأنه كان طيلة نهاره السابق في قضاء الحوائج اللازمة لحفلة العرس ، ثم طالت عليه السهرة وتأخر أيضاً المدعوون في الحضور ؛ وقد استنفد طاقته من الراحة فوصل إلى عروسه متهالكاً ، منهك القوى ، إنَّ هذا ــ عزيزي الزوج ــ وإن كان يقع في بعض المدن والمجتمعات إلا أنه عَيْنُ الخَطَلِ وكلُّه خطأٌ وبُعْدٌ عن العمل الصحيح في أمثال هذه الليالي .. لذلك أوصيك أخي العروس [1] بما يلي :

١- اقض حوائجك قبل يوم أو يومين ..

٢- ذكِّر المدعوين أن حفلة العرس لن تطول منذ بدء السهرة التي تبدأ بعد صلاة العشاء أكثر من ساعتين صيفاً ، وثلاث شتاءً ..

٣- احذر الحلاقين فإنهم يأخذون من العروس ساعات طويلة بحجة تصفيف شعره وتزيينه ، والمدعوون ينتظرون في صالة العرس ، وقد انصرف بعضهم ، وتململ البعض الآخر يريد الانصراف .

٤- هيىء ثياب العرس معك أو أَقْدِمْ إلى المدعوين وقد لبستها ..

٥- تعاون مع ذويك في إحضار العروس إلى المكان المعد لفرح النساء منذ أول الوقت (أي منذ بدء عرس الرجال)

---

[1] – العروس لفظ مشترك يطلق على كلا الرجل والمرأة .

٦- بعد انتهاء العرس ـ وسوف تلقى بعض الكلمات بهذه المناسبة من أحد أهل العلم المدعوين ـ سيزفُّك إخوانك إلى بيت الزوجية ، ولكل بلد طريقته الخاصة بزفة العرس ، وهذا كله من إعلان النكاح المأمور به ؛ فعند ما تصل إلى بيتك المعد لقضاء هذه الليلة الغالية على قلبك ، ودِّع إخوانك وأصدقاءك ، وادخل وحدك إلى عروسك ، ولا مانع أن يكون معك محارمك من الرجال والنساء ، وأقصد بمحارم الرجال والدك أو جدك فقط ومن النساء والدتك وحماتك وأَخَواتك ، لأن العروس سوف تكون بأبهى زينتها ولا يحل لغير محارمها رؤيتها .

٧- وسوف تجلسان مع الوالدين والأخوات بعض الوقت تؤنسانهم ويؤنسونكما ، ثم ينصرف الكل فماذا أنت فاعل بهذا ؟ ستقول هذه الليلة ؛ليلة العمر وقد طال انتظاري لها، وأقول لك هنيئاً ؛ سوف تعبر عن حبك لعروسك ، وسيمنعها حياؤها من كثير مما تَوَدُّه منها ..

فماذا ستفعل مع العروس الحلوة ليلة الجلوة ؟ !

إذا أردتما أن تكون حياتكما كلها سعادة وهناء وشهر عسل ؛ فابدأا بطاعة الله **أولاً** فطاعة الله في أول كل عمل مفتاح كماله وجعله موفقاً دائماً ، وهل تحبان أن تسمعا كيف فعل رسول الله ﷺ في زواجه وماذا قال عندما تزوج السيدة عائشة الصديقة رضي الله عنها ؟

(١)- تروي لنا أحداث هذه الليلة أسماء بنت يزيد بن السكن رضي الله عنها قالت : إني قنيت (زَيَّنَتُ) عائشة لرسول الله ﷺ ثم جئته فدعوته لجَلْوتها (أي النظر إليها مكشوفة مجلوة) فجاء فجلس إلى جانبها فأُتِيَ بعُسٍ (قدَح كبير) لبن (حليب) فشرب ثم ناولها فخفضت (أي عائشة رأسها) واستحيت .. الحديث ..

فانظر كيف لاطفها رسول الله ﷺ في ليلة جلوتها وسقاها من يده الشريفة ، وكان حياؤها يمنعها من النظر إليه .

(٢)- وستجلسان بجانب بعضكما عزيزي العروسين فهل ستقول شيئاً ؟؟ نعم ستقول الكثير من عبارات الحب والغزل ، والشوق واللهفة ولكن ابدأها بقولك وأنت واضع يدك على رأسها (اللهم إني أسألك خيرَها وخيرَ ما جُبِلَتْ عليه وأعوذ بك من شرِّها وشرِّ ما جبلت عليه) ثم خُذْ بناصيتها (رأسها) وادع بالبركة قائلاً : (اللهم بارك لي فيها واجعلها خيراً عليَّ واجعلني خيراً عليها واجمع بيننا بخير ، وارزقني الحلال الطيب من الولد والمال والعافية وحسن التوفيق .)

(٣)- و ستكون عزيزي الزوج متوضأً ، وقد أوصاها رفيقاتها المؤمنات قبل أن يكملن الزينة بالوضوء فتوضأت ـ وهكذا تفعل العروس المؤمنة ـ فقم وإياها وقد انصرف أهلك وصَلِّ معها إماماً ركعتين ، وهما من سنن الزواج ، فقد فعل أصحاب رسول الله ﷺ هذا ، فعندما تزوج أحد الصحابة جاءه إخوانه وكان فيهم عبد الله بن مسعود وأبو ذر الغفاري وحذيفة بن اليمان وغيرهم فقالوا للزوج : إذا دخلت على أهلك (أي زوجتك) فصلِّ ركعتين ثم خذ برأس أهلك (أي زوجتك) فقل (اللهم بارك لي في أهلي وبارك لأهلي فيَّ ، وارزقهم مني وارزقني منهم) ثم قالوا له ثم شأنك وشأن أهلك .[1]

(٤)- ثم شأنك وشأنها الخاص بكما، لن أقول لك إلا ما ستكون حريصاً عليه؛من النظافة والتطيب وحسن المظهر وقد نظفت فمك جيداً بالسواك والفرشاة والمعجون ، وهي كذلك فعلت، وستتحدثان بكلام يشعر كل منكما صاحبه بالحب والولاء ، والعطف واللطف ، فهل تنسى أن تقول قبل المعاشرة الزوجية (بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما

---

[1] – تحفة العروسين ص١٤٦عن المغني لابن قدامة كتاب النكاح ج٧ ص٤٦٣ .

رزقتنا) فإذا قدر الله الحَمْلَ من تلك الليلة ، وجاءك ولد فلن يضره الشيطان أبداً ، كما وعد الحبيب المصطفى ﷺ معلماً لمن أراد أن يأتي أهله ، وهذا ينطبق على كل معاشرة جنسية (حالة جماع) ليلة العرس وغيرها ..

من آداب ليلة العرس :

٥- ويذكر أهل العلم هنا بعض الآداب منها :

ا ــ ألا يتجردا من الثياب تماماً لورود النهي عن ذلك ، وأباحه بعضهم . ! وما ورد من حديث في النهي عن التجرد فإنه لا أصل له .[٢]

ب ــ ألا يكثرا من الكلام عند الجماع .

ح ــ أن يلاعب امرأته بما ينهض شهوتها ويدفع حياءها فتنال منه كما ينال منها ..

د ــ ألا يَنْزِع عنها حتى تقضي شهوتها هي أيضاً ، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال لأحد أصحابه (لا تواقعها إلا وقد أتاها من الشهوة مثلما أتاك لكي لا تسبقها بالفراغ) ،قلت وذلك إلي؟ قال نعم إنك تُقبِّلُها وتغمِزُها وتلمزُها (تلاعبها وتحضنها) فإذا رأيتَ أنه قد جاءها مثلما جاءك واقَعْتَها . أي فهي كذلك تحتاج مثلما تحتاجه أنت .

هـ- فإذا فرغت بالإنزال قبلها فلا تنـــزِع حتى تفرغ هي ، لما روي عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال (إذا جامع الرجل أهله فليقْصِدْها (يتأنى عليها) ثم إذا قضى حاجته فلا يَعْجَلْها حتى تقضي حاجتها) وهذا يعني أنه مثلما تبغي شهوتك أنت فهي تبغيها كذلك ..

وإن أردت العود فالغسل أفضل إن كان الوقت يسمح به ، و إلا فلا مانع من العود دون وضوء أو غسل كما ذكر ذلك فقهاؤنا [١] ، وذلك في غير الليلة الأولى فقد أوصى الأطباء ألا يعود إليها إلا بعد ليلتين أو ثلاث ، وهو الوقت الكافي لاندمال جرح البكارة.

ملاحظات في ليلة العرس وغيرها :

أخي الزوج العاقل أختي الزوجة الفطنة، ها قد جمع الله بينكما بخير وقضيتما ليلتكما بسرور وحبور ولذة حلال ؛ فأنتما بفضل الله في عبادة ، حتى في قضاء شهوتكما كما أخبر الحبيب المصطفى ﷺ فيما رواه مسلم والنسائي عنه قال: (وفي بُضْعِ أحدكم صدقة) والبضع هنا كناية عن الجماع قالوا : يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال أرأيتم إن وضعها في حرام أكان عليه وزر ؟ قالوا بلى ! قال وكذلك إذا وضعها في الحلال كان له فيها أجر) .

لذلك أيها العزيزان ؛ عليكما أن تتعرفا إلى أمور قد يفعلها بعض الناس وهي منهي عنها أو محرم في الشرع إتيانها :

وأول ما أذكِّرك به أخي الزوج ما يلي :

١- أن تؤانس زوجتك هذه الليلة وتلاطفها ، وبخاصة إذا شَعَرْتَ بحيائها الشديد وخوفها من تلك الليلة فقد تكون غِرَّةً (ليس لها معرفة ولا اطلاع على أمور هذه الليلة) فتخشى من عملية البناء (الجماع) وتستوحش منه،وعدم تقديمك الملاطفة يزيد في خوفها واستيحاشها ، ويسبب لها عُقَدَاً نفسية قد تصاحبها طيلة حياتها معك ، أو تفضي إلى الطلاق ، وبخاصة إذا كانت صغيرة السن أو نحيفة الجسم أو كلاهما معاً أو كان الزوج ضخم الجسم ، و لم يقدم المؤانسة والملاطفة ، فارفق بها

---

[٢] – أفاد فضيلة الدكتور محمد عادل عزيزة الحسيني حفظه الله عندما راجع هذا الكتاب (قبل طبعه) أن الحديث الوارد في النهي عن التجرد من الثياب مكذوب موضوع كما في علل الدارقطني (ج٥ص١٠٩) .

[١] – انظر هذه المسائل مفصلة في كتاب تحفة العروسين ص١٤٧ وما بعدها .

عزيزي الزوج ، واضبط نفسك من الوقوع عليها وهي بتلك الحالة من الخوف والرعب أو شدة الحياء وأَجِّلْ ليلتك إلى غد أو بعده حتى تأنس بك وتزول عنها وحشتها وخوفها، وفيما يلي من (التوصيات الطبية) وغيرها ما يعينك على هذه الليلة .

أ- توصيات طبية :

وها أنذا أنقل لك بعض التوصيات والنصائح الطبية في ليلتك الأولى ، اخترتها لك من كتاب (الطب والحياة الزوجية) قال تحت عنوان : (الجماع الأول - عملية جراحية - في ظروف عقيمة) ما يلي : [لا تبدأ حياتك الزوجية باغتصاب] في هذه الليلة يحف بالزوجة شعور بالخوف والتهيب من الرجل والحياة الجديدين ، والزوج الحكيم هو الذي يحسن استقبال هذا الإنسان الوديع (الزوجة) والحبيب المضطرب والقلب الولهان .

يجب على الزوج أن يعطي انطباع الهدوء وقلة الألم ما أمكن ، وأن يتحلى بثقة كبيرة في نفسه ، وليبدأ بالمداعبة ، ويحسن أن يستخدم مراهم مزلقة ومخففة للألم ، ففي المرات الأولى قد لا يساعدها مهبلها بالإفراز المزلق التي لم تعرفه من قبل ، ويخفها خوف من الألم . وليحاول شق غشاء البكارة بقضيبه بكل لطف وتدرج ، فإن فشل فليحاول بأصبعه بشرط أن تكون الأصبع نظيفة معقمة ، فإن فشل فلا بد من الشق الجراحي .. (وهنا لابد من العرض على الطبيبة المختصة) والوضعية المناسبة للمرأة ليلة الزفاف هي وضعية الاستلقاء على الظهر ..

ملاحظات مهمة :

١- قد يكون غشاء البكارة ذو ثقب واسع يتمكن من الإيلاج بدون شق ، فليتنبه الزوج إلى ذلك ، ولا يركبه الغضب والشك .

٢- وقد يكون الغشاء رقيقاً سهل الشق ، وقد يكون سميكاً صعب الشق .

٣- في العادة ، لا يحصل عند شق غشاء البكارة سوى ألم خفيف ونزف نقاط قليلة من الدم .. أما إذا استمر الدم، فيجب أن تضم العروس ساقيها ، وتستلقي على ظهرها ساكنة لا تتحرك ، ولا تلمس جراحها ولا تجففها ، ولتنتظر قليلاً فلن يظهر دم جديد في الغالب .

أما إذا كان النزف كثيراً فيجب الاستعانة بالطبيبة النسائية .

٤- من المستحسن في حال عدم تمزق الغشاء في الليلة الأولى أن يؤجل المحاولة إلى الليلة الثانية ، وليحذر من العنف ، ويحسن ألا يخبر الأهل ، إذ أن كثيراً من الأزواج يعجز عن تمزيق غشاء البكارة من الليلة الأولى وهذا شيء طبيعي .

٥- إذا فشل في محاولاته في الأيام التالية ، أو الأسابيع الأولى فليراجع طبيبه حتى يوجهه إلى التقوية النفسية والأغذية المقوية (لحوم — بيض- سمك - عسل- توابل) فإذا فشلت محاولاته الجديدة بسب صلابة غشاء البكارة فليراجع الطبيب، لإزالة غشاء البكارة بعملية بسيطة . وعلى كل يجب فحص قدرة الرجل خشية أن يكون مصاباً بالعِنَّةِ الدائمة .

٦- على الزوج أن يتنبه نفسياً من وجهتين :

الوجهة العنفوانية ؛ فلا يستعمل العنف خشية إيذاء العروس وإيلامها وجعلها تنزف وتستوحش منه ، وبالتالي يحرمها ويحرم نفسه من متعة الأيام التالية المرتقبة ،

والوجهة السلبية التي تسبب له عدم الانتصاب إما بسب مدافعة العروس لزوجها بسبب الخوف من الألم ، فربما يحدث معه تثبيط نفسي ، وإما بسبب ما وقر في نفسه في الأيام السابقة لليلة العرس من الخجل والحياء من ألا يكون كباقي الرجال . .

٧- ستبقى الزوجة تتألم من جرحها لمدة أسبوع وحتى أسبوعين أحياناً فعلى الزوج أن يلاطفها ويراعى شعورها ، وليقلل من المعاشرة الزوجية حتى يشفى الجرح، وليستخدم المراهم المخففة للألم مع التحميلات الشرجية المخدرة .[1] أهـ

ب- قصة ذات موعظة بالغة : قد تكون زوجتك عاشرت غيرك ،واكتشفت هذا ليلة الزفاف فماذا ستفعل ؟

وسأذكر لك قصة مفيدة في هذا الموضوع ذكرها الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي في كتابه (موسوعة أسماء الله الحسنى) قال : رأى خطيب جامع الورد (**في دمشق**) **في المنام** النبي ﷺ فقال له : قل لجارك فلان : إنه رفيقي في الجنة ، وجاره سمان ، وهو الخطيب والعالم ، فتمنى لو أنه بمكان هذا الجار ، طرق باب جاره ، ودخل عليه وقال له : لك عندي بشارة ،ولكن والله لا أقولها لك إلا إذا أطلعتني على حقيقة أمرك وماذا فعلت حتى حللت هذه المنزلة عند الله عز وجل ، فامتنع عن الإجابة وبعد إلحاح شديد ؛ قال : لقد تزوجت امرأة ، وفي الشهر الخامس (من زواجنا) تبين لي أنها حامل وحملها في الشهر التاسع ، فعلمت أنها قد زلت قدمها ، فكان بإمكاني أن أطلقها ، وأن أفضحها .. وأنا محق بذلك ، والناس يقرونني ، فجئت بمولّدة ، فولدت غلاماً ، وحملته تحت عبائتي ، ودخلت إلى جامع الورد بعد أن نوى الإمام صلاة الفجر ، ووضعت هذا الغلام خلف الباب ، واقتديت بالإمام ، فلما انتهينا من صلاتنا ، بكى المولود ، فتحلق المصلون حوله ، واندسست معهم ، قلت ما الخبر ؟ قالوا : مولود ، فقلت هاتوه ، أنا أكفله ، فأخذته أَمَامَ أهل الحي على أنني قد تبنَّيْتُهُ ، ودفعته لأمه التي ولدت قبل ساعات ..أهـ فانظر أخي العاقل حفظك الله كيف كان جزاؤه لستره على زوجته التي زلت قدمها أن بشره رسول الله ﷺ بالجنة ؟

٢- قد يفاجئها الحيض تلك الليلة فإياك أن تأتيها في الحيض قال الله تعالى :﴿ يسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأْتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ الآية (١٠) البقرة ، وعليك بالصبر حتى تطهر ، وإن كان يجوز لك الاستمتاع بجسمها فيما فوق السرة ومادون الركبة ، وقد ورد أن النبي ﷺ فيما حكته عنه السيدة عائشة قالت:(كان يأمرني فأتزر فيباشرني وأنا حائض) وهذا الحديث الصحيح الذي روته السيدة عائشة من فعل النبي ﷺ معها ليبين لنا جواز مباشرة الرجل لزوجته أي إلصاق جسمه (بشرته) بجسمها فيما فوق الإزار الذي يغطي من السرة إلى الركبة،لأن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة اعتزلوها فلم يأكلوا معها و لم يجالسوها، فَبَيَّنَ النبي ﷺ الجواز في ذلك ومخالفته اليهود ، وقال بعض العلماء : لا يجوز له المباشرة في الفرج وله ما سوى ذلك .

وإليك ما رواه الإمام البخاري في الأدب المفرد : عن عمارة بن غراب أن عمة له حدثته أنها : سألت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقالت إن زوج إحدانا يريدها فتمنعه نفسها إما أن تكون غضبى أو لم تكن نشيطة فهل علينا في ذلك من حرج قالت نعم إن من حقه عليك أن لو أرادك وأنت على قتب لم تمنعيه قالت قلت لها إحدانا تحيض وليس لها ولزوجها إلا فراش واحد أو لحاف واحد فكيف تصنع قالت لتشد عليها إزارها ثم تنام معه فله ما فوق ذلك مع أني سوف أخبرك ما صنع النبي صلى الله عليه وسلم إنه كانت ليلتي منه فطحنت شيئاً من شعير فجعلت له قرصا فدخل فرد الباب ودخل إلى

---

[1] - من كتاب الطب والحياة الزوجية للدكتور عبدو ناقو ورفاقه بتصرف بسيط . ص ٩ .

المسجد وكان إذا أراد أن ينام أغلق الباب وأوكأ القربة وأكفأ القدح وأطفأ المصباح فانتظرته أن ينصرف فأطعمه القرص فلم ينصرف حتى غلبني النوم وأوجعه البرد فأتاني فأقامني ثم قال أدفئيني أدفئيني فقلت له إني حائض فقال : إن ، اكشفي عن فخذيك فكشفت له عن فخذي فوضع خده ورأسه على فخذي حتى دفىء .

فأقبلت شاة لجارنا داجنة فدخلت ثم عمدت إلى القرص فأخذته ثم أدبرت به قالت وقلقت عنه واستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم فبادرتها الباب فقال النبي صلى الله عليه وسلم خذي ما أدركت من قرصك ولا تؤذي جارك في شاته) .

فانظر أخي صنيع النبي ﷺ في عبادته ، وحسن تلطفه مع زوجته ، وتواضعه ، وهو يستدفىء بها ، وعمله هذا الذي يبين لنا أي إنسان كريم لطيف صاحب خلق عظيم مع أزواجه .

وقد حرم النبي ﷺ إتيان المرأة أثناء الحيض وفي دبرها أيضاً فقال : (من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد) [1] وإذا أخطأْتَ ووقعْتَ في الحرام لا سمح الله بأن جامعت أيام الحيض فكفارة ذلك التوبة عن العَوْدِ إلى ذلك مرة ثانية والتصدق بدينار إن كان في شدة الدم وبنصف دينار إن كان في خفته ، أو حسب الحال من اليسار أو الفقر فقد أمر النبي ﷺ من فَعَل ذلك (أن يتصدق بدينار أو نصف دينار) كما رواه الحاكم [2] ،

ومن المناسب أن أذكر لك أخي ما قاله الإمام النووي : بأنه لو اعتقد المسلم حِلَّ جِماعِ الحائض في فرجها صار كافراً مرتداً ولو فعله غير معتقدٍ حِلَّه ناسياً وجود الحيض فلا إثم عليه أما إذا فعله عامداً عالماً بالحيض والتحريم فقد ارتكب معصية كبيرة يجب عليه التوبة منها والكفارة.[1]

٣- **إياك أيضاً أن تفعل ما يفعله بعض من لا دين ولا أخلاق لهم ؛ من إتيان المرأة في الدبر فإن ذلك حرام ولم يجزه أحد في شريعتنا** ، وما روي من الجواز فهو مردود ، وقد عظمت المصيبة به هذه الأيام من قبل أناس ينسبونه إلى بعض الأئمة بالجواز زوراً وبهتاناً ، وقد علمت حرمته في الحديث السابق ، وقد سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الذي يأتي امرأته في دبرها فقال : هذا يسألني عن الكفر ؟ إي أن هذا الإتيان كفرٌ بالله كما بينه الحديث السابق ، ولكن لا حرج على الزوج أن يأتي امرأته من الخلف في موضع الفرج كما بين النبي ﷺ موضحاً معنى الآية ﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾ البقرة ٢٢٣ .

فقال ﷺ :(أَقْبِلْ وأَدْبِرْ واتَّقِ الحَيْضَةَ والدُّبُرْ) وقال لمن سأله أمِنْ دُبُرِها في قُبُلِها ؟فقال نعم ، أمّا مِن دُبُرِها (أي من ظهرها) في دُبُرِها فلا،إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أدبارهن) رواه ابن ماجة.وفي رواية(لا تأتوا النساء في أعجازهن).

وواضح من هذا البيان النبوي جواز إتيان المرأة في المحل الذي جعله الله لذلك من أي جهة من جهات جسمها من خلفها أو من أمامها ولكن في الفرج خاصة .

وقال ﷺ : (لا ينظر الله إلى رجل جامع امرأة في دبرها) رواه ابن ماجة ، وروى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : (ملعون من أتى امرأة في دبرها) .

---

[1] – الحديث في الجامع الصغير للسيوطي بهذا اللفظ (من أتى كاهناً فصدقه بما يقول ، أو أتى حائضاً ، أو أتى امرأة في دبرها فقد برىء مما أنزل على محمد) ورمز لروايته عن الإمام أحمد وأصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه .

[2] – الحديث في الجامع الصغير بلفظ (من أتى امرأته في حيضها فليتصدق بدينار ، ومن أتاها وقد أدبر الدم عنها و لم تغتسل فنصف دينار) ورمز لروايته للطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما .

[1] – من كتاب وعاشروهن بالمعروف ص٨٤ ، الدينار الذهبي يزن / ٤,٢٥ / غ فاسأل عن قيمة غرام الذهب وتصدق بالقيمة المقدرة .

ومن المفيد أن أذكر لك ما يقرره الطب في المعاشرة الجنسية الطبيعية السليمة : قال في كتاب (الطب والحياة الزوجية) في فصل (الحياة الزوجية الطبيعية) ما يلي :

المداعبة الجنسية :

لكي يتمتع الزوجان بالإتحاد الجنسي لابد من المداعبة أولاً، فإهمال المداعبة يضايق المرأة ، ويثير اشمئزازها، بل يؤذيها إيذاءاً بدنياً خالصاً .

وإهمال المداعبة دليل الغباوة والحماقة ، لأن المداعبة فن غزير اللذات ، ولذاته لا تقل عن لذات الجماع ذاته ، والألفاظ والنظرات لها أهمية عظمى في التمهيد لأنها أدل على الإفصاح عن المشاعر والأحاسيس في هذا الدور الباكر ، حيث تكون النفس أكثر استعداداً من الجسم للتأثر والإثارة ، ومهما بدت هذه الأمور تافهة وصغيرة فإنها هامة جداً .

ولكي يكون الاتصال الجنسي طبيعياً وجميلاً ومستحباً لابد أن تساهم الزوجة بدورها مع الرجل في الوصول بهذا العمل إلى الغاية التي ينشدها زوجها والتي يجب أن تنشدها هي أيضاً .

وهذا يتطلب منها ألا تكون شريكاً سلبياً ، بل عليها أن تندمج في دورها اندماجاً كلياً ؛ روحياً وجسدياً ، إذ إن هذا الاندماج والاندفاع من كلا الزوجين تجاه الآخر بشوق وحنين ورغبة وتفاهم يخلع على الاتصال لوناً زاهياً وجذاباً من ألوان المتعة واللذة المنشودة .

أما في حال بقاء الزوجة سلبية التصرف – كما يفكر بعض النسوة أن يتصرفن – وتركت زوجها وحده في هذا العمل ، فإن كثيراً من النشوة تذهب سدى ، لأن التعبير عن الحب يكون ناقصاً إذا لم يكن هناك الشوق والرغبة المشتركان .

وكما أن المداعبة ضرورية قبل اللقاء ، كذلك هي على أهمية عقب الإنزال ، فمن عادة كثير من الأزواج أن يتباعدا بعد الجماع مباشرة ، ولا سبب لذلك إلا الجهل والإهمال ، فيدير الرجل وجهه ويستغرق في النوم ، بينما تشعر الزوجة بهبوط تلهفها الجنسي تدريجياً فيحرم الزوج نفسه من أعظم الفترات العاطفية ، كما يفسد على زوجته استمتاعها بمشاركة تلك اللحظات وحنانها الجميل، وحاجتها الأكيدة إلى المداعبة، التي تتطلبها المرأة أكثر من الاستمتاع الجسدي ، لذلك على الزوج الاستمرار في إمتاع زوجته ومداعبتها بعد إشباع رغباته ، ويكفي أن يمنحها كلمة رقيقة أو قبلة أو لمسة حنان ، أو عناق شوق .. أهـ بتصرف بسيط . (ومن المهم أن تقرأ في القسم الثاني من الكتاب ما نقلناه من كتاب بهجة العروسين ص ١٨٠) .

٤- **احذر أن تفعل ما يفعله الجهلاء ، فتتحدث في صباح اليوم التالي عما جرى بينك وبين زوجك في الليل سواء ليلة العرس أو غيرها** ، فإن هذا لا يفعله عاقل فضلاً عن مسلم ، لأن ما يجري بينكما من المؤانسة والمداعبة بالأقوال والأفعال والأسرار لا يجوز نشرها ولا يحل الإطلاع عليها لغيركما ، فكما أن الله سبحانه أباح لك الاستمتاع بجسدها ، وأباح لها الاستمتاع بجسدك كذلك لا يحل لغيركما الإطلاع عليه ولو كان مَحْرَمَاً لكما ، فأنت تسترها خارج البيت وهي تسترك كما قال الله تعالى معبراً عن هذا الستر من جميع الأوجه ﴿ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾ كذلك وصف الزوجة المؤمنة بأنها حافظة لأسرار زوجها إذا غاب عنها قال الله تعالى في سورة النساء : ﴿ فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ﴾ ٣٤ الآية .. وتروي لنا السيدة أسماء بنت يزيد بن السكن رضي الله عنها قالت :(أنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قعود (أي في المسجد) بعد الصلاة ، ومن المعلوم أن صفوف النساء خلف صفوف الرجال فقال عليه الصلاة والسلام : لعل رجلاً يقول ما يفعل بأهله ، ولعل امرأة تخبر ما فعلت مع زوجها ؟ فأَرَمَّ القوم (أي سكتوا عن الإجابة) فقالت أسماء : أي والله يا رسول الله إنهن ليفعلن ، وإنهم ليفعلون !! فقال عليه الصلاة والسلام (فلا تفعلوا) إنما

ذلك (أي الذي يُحَدِّثُ بما فعل أو التي تحدث) شيطانٌ لقيَ شيطانةً في طريق فغشيها، والناس ينظرون) رواه الإمام أحمد .
فهل تحب أن تفضح نفسك أخي الزوج بعد أن سترك الله ؟ إنَّ هذا مما يستحي العاقل أن يفعله وبخاصة بعد أن شبه الرسول المعلم من يفعل هذا بالشيطان الذي يواقع (يجامع) شيطانة في الطريق أمام أعين الناس ؟

٥ **ومما يجب أن تُمْسِكَ عنه وتَسْتَحي منه ما ذكرناه أعلاه ، وما يتعلق بشأنك الخاص مع زوجتك أمام أهلها**، فإن أهل الزوجة يكرهون ذلك ، وهذا يجرح شعورهم ، ويَخْدِشُ حياءهم وقد قال الإمام النووي رحمه الله :(شارحاً لحديث سيدنا علي ﷺ حيث قال :(كنت رجلاً مذاءً ، فاستحييت أن أسأل رسول الله ﷺ لمكان ابنته مني ، فأمرت المقداد فسأله) وكان سيدنا علي قد تزوج فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ ، وكان يستحي أن يسأل رسول الله ﷺ عن المذي هل يوجب الغسل أم لا ؟ (والمذي) كما هو معلوم يخرج من ذكر الرجل بعد الشهوة،وهو بلون البول،رقيق لا يوجب الغسل، فكان يستحي من هذا ، فأرسل المقداد بن الأسود ﷺ ليسأل رسول الله ﷺ دون أن يذكر علياً .
قال الإمام النووي رحمه الله : اعلم أنه يستحب للزوج ألا يخاطب أحداً من أقارب زوجته بلفظ فيه ذكر النساء وتقبيلهن أو معانقتهن أو غير ذلك من أنواع الاستمتاع بهن أو يتضمن ذلك أو يستدل عليه أو يفهم منه)[1]
وقد تقول كان هذا في الزمان الأول أما اليوم فإن معظم الناس قد عرفوا أسرار الاستمتاع و لم يبق هذا الحياء الذي تقول عنه فقد فضحت التلفزيونات بالقنوات الفضائية كل الأسرار ، وأقول : لازال هناك قلة مؤمنة تحافظ على الحياء والمروءة فكن أنت وعروسك منهم لأن هذا خلق أصيل في المؤمن ..

٦ ومن المناسب ونحن نذكر هذا ونذَّكر به ؛ بأن يكون معلوماً لديكما عزيزيَّ العروسين **أن المخالطة مع غير المحارم باب عظيم من أبواب الفتنة ، والخروج عن شرعة الله وحدوده** ، فإن الشرع الشريف ما أمرنا بأمر إلا وفيه مصلحة لنا في الدنيا والآخرة وما نهانا عن أمر إلا وفيه الوقاية لنا من خطر وفساد محقق في الدنيا والآخرة وقد سَبَّبَ الاختلاط المحرم بين الرجال والنساء كثيراً من الفواحش ، وخراب البيوت العامرة المحافظة على الدين والخلق ، و لم يأتنا هذا إلا ممن لا يدينون بدين ولا يقيمون للحياء والمروءة والعرض وزناً. وهذه الأخلاق سياج الأسرة المسلمة وحصنها الحصين من التفكك والإنهيار **فاحذر أخي** ما يسمى بالسهرات العائلية ، التي يختلط فيها الرجال والنساء من الأقارب والأباعد فإنه ذلك السم القاتل وهو أساس البلاء الذي هدم بيوتنا ، وخرب أخلاقنا [1]،

---

[1] – من كتاب (وعاشروهن بالمعروف) ص٨٥

[1] – وأسوق هنا لأحبابنا العروسين هذه الحادثة التي ذكرتها صحيفة تشرين في عددها المؤرخ ٢٠٠٥/٥/٢٣ بعنوان:(**بعد أن سفَّر عائلته ، استنجد بجارتهم مدعياً أن زوجته بحالة خطرة واعتدى عليها**) والتي تبين ضرر الاختلاط والسهرات العائلية : قالت الصحيفة ما يلي : تشير وقائع هذه القضية إلى أن (ن) عروس جديدة وقد سكنت مع زوجها منذ شهور في البناية التي يسكن فيها المتهم (ع) ...زوج السيدة كما هو معروف لأهل البناية يذهب إلى دوامه منذ الصباح الباكر .. وعندما ذهب إلى ضيعته للزفاف دعا كل جيرانه (سكان البناية) لكن بُعْدَ المسافة حال دون ذلك .. عندما عاد العريس إلى شقته ذهب بعض الجيران للمباركة له . ومن بينهم المتهم (ع) وزوجته والتي هي من ذات المحافظة .. ولكن الأصول تقضي رد الزيارة والشكر على المباركة ، بعد أيام جاء الزوج العريس (ك) مع زوجته العروس (ن) إلى منزل المتهم (ع) وسهر الجميع مع بعض وتم التعارف أكثر .. كانت نظرات المتهم (ع) إلى السيدة الساكنة جديداً وهي الصبية بمقتبل العمر والحسناء جداً فلم تفارقها عيونه . مرت الليلة .. ولكن المتهم (ع) أصبح يأخذ زوجته كل يومين أو ثلاثة إلى بيت جيرانه الجدد .. (أي العِرْسان) أحست الزوجة بنظرات جارها الخبيثة .. ولكن لم تخبر زوجها ..فهي جديدة ولا تريد إثارة المشكلات مع جيرانها .. ولكن مع ازدياد تصرفاته وقاحة .. وكما أن الزوجة العروس أحست بنظرات الجار الخبيثة أحست زوجة المتهم هذا الإحساس وعاتبته على كل الاهتمام

وأحذركما كذلك أنت وزوجتك من الخلوة بأجنبي أو أجنبية (من غير المحارم) فقد حذَّر الرسول الأعظم ﷺ من ذلك أشد التحذير فقال ﷺ :(إياكم والدخول على النساء ، قالوا يا رسول الله : أرأيت الحمو (أقارب الزوج) قال الحمو الموت) لأن الحمو يدخل على بيت أخيه بدون إذن وبخاصة إذا كان أخو الزوج عزباً ويسكن مع أخيه المتزوج في دار والديه ، فإن دخوله بدون استئذان يسبب الخلوة بزوجة أخيه وهذا مفض إلى الإلفة بينهما ورفع الكلفة وبالتالي أن تنكشف أمامه أوَّلاً وقد لا يكون سترها وافياً وقد تبدو زينتها وما تحتها ، وهنا يقع المحذور وتقع الفاحشة وما أكثر ما وقعت وما أكثر ما سُئلنا عنها،وما أكثر ما خربت بيوت،وطلقت نساء، وجرى القتال بين الأخوة بسبب هذا الذي قال عنه الرسول المعلم ﷺ : (الحمو الموت) ولا يغرنك أخي العاقل أختي المؤمنة كثرة المتساهلين في هذا والداعين إلى السفور والاختلاط فليس بعد بيان الله وقوله بيان،قال سبحانه:﴿وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب﴾وهذا لنساء النبي ﷺ فكيف

وكان المتهم (ع) في الذهاب والإياب إلى البناية وكلما التقى بها يقدم لها خدماته بسخاء ، ماذا تريدين أنا خادم .. أن أحمل القنينة ..(قنينة الغاز) ..أن أجلب الأغراض كون زوجك بالدوام .. لكن المتهم (ع) لم يستفد من كل أنواع التقرب للتقرب من السيدة العروس الجديدة الساكنة في البناية ، حاول استلطافها فصدته .. غمزها ذات مرة فبصقت عليه .. خفت الزيارات .. بل انقطعت .. وفي ذات مرة أضمر المتهم (ع) على النيل من جارته الشابة .. حيث سفَّرَ زوجته إلى ذويها يوم الجمعة مساءاً بحيث لا ترى الجارة جارتها وهي تسافر .. ويعرف جيداً أن جاره يناوب يوم السبت وفعلاً منذ صباح يوم السبت بعد سفر زوجته بيوم واحد .. شغَّلَ المسجلة بصوت عال وقرع الجرس على بيت جاره .. منذ الصباح الباكر أي بحدود الساعة السابعة صباحاً أي بعد خروج الزوج بربع ساعة فقد خرجت الزوجة بثياب النوم .. لتفتح الباب .. وهي من وراء الباب من ؟ أنا جاركم زوجتي مريضة وهي تستفرغ ولا أعرف ما بها انطلت اللعبة على الجارة .. طلبت منه الانتظار قليلاً لتغير ثيابها .. غير أنه ظل واقفاً على الباب وينده لها ..بسرعة .. بسرعة جاءت الجارة دخلت البيت أين أم ؟! إنها في غرفة النوم .. (صوت المسجلة عال جداً لغاية في نفسه .. دخلت الغرفة لم يكن فيها أحداً .. .. أغلق المتهم الباب واستل عليها سكين المطبخ وقال لها : أي صوت سوف أقطعك ولا أحد يعرف مصيرك . حاولت مقاومته لكنها لم تستطع إبعاد خنزير هائج .. اعتدى عليها بعد أن ترك آثار المقاومة على وجهها هو كذلك فقد امتلأت أظافرها بلحم وجهه.. وبعد أن أشبع غريزته الحيوانية فكر في قتلها للتخلص منها .. ولكن فكر أن الجريمة ممكن أن تنكشف من جهة ، ومن جهة أخرى لم تتجرأ الجارة على إخبار زوجها لأن الجار قد أخبر جاره أن زوجته مسافرة إلى الضيعة لرؤية والدتها .. أي ما سبب حضور الزوجة إلى بيت الجيران ، اتصلت بزوجها لتطلب منه الحضور فوراً أصر على معرفة السبب فلم تستطع تمالك نفسها فأخبرته على الهاتف أن جارهم اعتدى عليها فكر الزوج أن زوجته اختلفت مع جارتها فضربها (ع) وتسائل! وكيف اختلفتم وهي مسافرة منذ يوم أمس عندها أخبرته أنه اغتصبها جاء على الفور وقبل أن يعرف التفاصيل طرق الباب مرات ومرات لا أحد يفتح أطلق عدة عيارات نارية على قفل الباب الذي انفتح فدخل البيت لقد فعل الجار فعلته وهرب .. بعد ذلك ذهب الزوج إلى الأمن الجنائي في ريف دمشق وأخبرهم بكل ما جرى ، تم القبض على (ع) فحاول التملص من فعلته مدعياً أنها هي التي جاءت إلى بيته وتعلم أن زوجته مسافرة وهذه ليست المرة الأولى .. وإن سبب تبليغها عنه عدم موافقتها على التخلص من زوجها .. غير أنه اعترف بعد ذلك بعدما تم التوسع بالتحقيق ولاسيما مع الزوجة أي زوجة المتهم التي أشادت بأخلاق وأدب جارهم .. غير أن الزوج عاد وأنكر الجرم المسند إليه أمام قاضي التحقيق القضائي وهيئة المحكمة وأن أقواله الأولية انتزعت منه بالضرب وقد تأيدت الوقائع بالأدلة التالية : ضبط فرع الأمن الجنائي واعترافات المتهم الأولية والقضائية وأقوال المعتدى عليها والوقائع التي أظهرت من خلال التوسع بالتحقيق وعلى الخبرة الفنية للطبيب الشرعي .. حيث إن هيئة المحكمة وبعد اطلاعها على ملف القضية وأدلتها ، والتي بلغت حداً الجرم القانوني ، إقدام المتهم (ع) على الاعتداء على جارته (ن) وما إنكاره لما أسند إليه إلا للتهرب من جريمته والإفلات من المساءلة والتهرب من العقاب، وعليه بات من الواجب تجريمه بجناية الاغتصاب وفق أحكام المواد /٦٢٥- ٦٤٧/ عقوبات عام ووضعه لأجل ذلك في سجن الأشغال الشاقة مدة ٩سنوات وللظروف المخففة كونه طلب الشفقة والرحمة تنزيل العقوبة إلى ٧سنوات مع حساب مدة توقيفه وحجره وتجريده مدنياً . تعليق : هذا الجرم جزاؤه في الشرع القتل رجماً وليس السجن وهذا كاف لردع آلاف المجرمين أمثاله .

لغيرهن، وقوله ﷺ :(ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء) متفق عليه كما في الجامع الصغير . وقد اطلعت بعد كتابة هذه الفقرة على ما نشرته إحدى الصحف اليومية حول هذا الموضوع ، وكيف تجاوز شاب مراهق على زوجة أخيه وحملت منه وحصل المحذور فاقرأه في الهامش .[1]

---

[1] – ذكرت جريدة تشرين بعددها الصادر ٢٠٠٥/٣/٧ تحت عنوان:(**يضع المخدر في الشاي لزوجة أخيه ثم يعتدي عليها**) بما يلي:تشير التحقيقات في هذه القضية إلى أن هناك أسرة في أحد أحياء دمشق مكونة من شابين وأمهما..وقد تزوج (الأخ الأكبر ب)وبعد زواجه بثلاثة شهور جاءه عقد عمل في دولة خليجية وفعلاً سافر للعمل هناك وقد مضى على سفره سنة وأربعة شهور.. وفي يوم من الأيام أحست زوجته بالغثيان وطلبت من حماتها مرافقتها إلى الطبيبة للاطمئنان على صحتها..وفعلاً ذهبت الحماة مع كنتها لأنها تعاني من الألم في بطنها ودوخة ... وكانت المفاجأة عندما كشفت الطبيبة عليها وضحكت وقالت لها:مبروك أنت حامل في الشهر الثاني.صدمت (س) من هذا الكلام،بل أغمي عليها كيف يا دكتورة وزوجي خارج البلاد من ١٦ شهراً ؟! في هذه اللحظات كانت الحماة تغلي بل تكاد أن تنفجر من شدة الغيظ لأن ابنها مسافر من شهور عديدة..فمن أين جاء هذا الطفل الحرام وبدأت تنظر إلى كنتها بشزر وسخرية واستغراب وصدمة بآن واحد.وجلست (س) في العيادة و لم يعد بمقدورها الوقوف بل الحركة..وطلبت من الطبيبة إعادة الكشف لأن هذا الكلام خطير بل فيه حياة أو موت .. أعادت الكشف وأكدت لها الحمل وأن الجنين ابن شهرين وأربعة أيام عندها وقعت (س) من جديد..اتصلت الحماة بأهل كنتها طالبة منهم الحضور فوراً إلى عيادة الطبيبة (ح)لأن (س) في خطر. هرول الأهل إلى العيادة وكانت المصيبة أكثر .. صدم الأهل لما سمعوا من الطبيبة عن حال ابنتهم وحملها.. في غياب زوجها أخذ الأهل ابنتهم معهم لمعرفة الحقيقة..سهر الأهل كل تلك الليلة السوداء..سألتها أمها عن صاحب الجريمة ولكن الفتاة تبكي ولا تعرف ماذا تقول..تقسم أنها لا تعرف أحداً و لم يلمسها أحد بعد زوجها المسافر منذ ١٦شهراً ..أم الزوج وفور وصولها إلى البيت اتصلت بابنها المسافر طالبة منه طلاق زوجته فوراً وإرسال ورقة طلاقها عبر الخارجية وعندما سألها الزوج الابن عن السبب ... لم تستطع الأم كتمان السر..فقالت له:إن زوجته حامل من غريب.. جن الابن و لم ينتظر طلب إجازة وإنما عاد إلى الوطن فوراً. وفعلاً بعد أن وصل إلى البيت سمع من أمه الحكاية من أولها وبعد ذلك ذهب إلى بيت عمه لمعرفة الحقيقة والاتفاق على المقدم والمؤخر .. وكتمان السر حتى لا يفتضح الأمر..وفعلاً جلس الزوج مع زوجته.. فقالت له لو كان لي علاقة مع أحد أو لو أعرف أنني حامل من واحد غريب هل اصطحب حماتي معي..عندها وقف الزوج شارداً..نعم إن كلام الزوجة فيه شيء من الصحة .. الزوجة لا يهمها الطلاق وجل ما تريد معرفته الحقيقة أيضاً من أين أتى هذا الجنين وهي التي لا تعرف أحداً ..وبدأت تفكر ..وأشركت أمها في تفكيرها وأصبحت تعود بذاكرتها إلى الوراء وتسرد لأمها كل شيء صار معها منذ شهرين وأثناء مراجعة تفكيرها شكت في أن أخا زوجها الذي كان في تلك الفترة يصنع الشاي ويطلب من أمه وزوجة أخيه احتساء الشاي معه..وفعلاً يشرب الجميع الشاي وتحس بعد ذلك بالنعاس الشديد وتستأذن للخلود للنوم..هذا ما تذكره وقد تكرر أكثر من مرة .. عندها استقرت على هذا الرأي .. وحتى تكشف الحقيقة وتظهر براءتها أمام أهلها وزوجها ولجم لسان حماتها.. ذهبت منذ الصباح إلى قسم شرطة العباسيين وقدمت شكوى ضد أخي زوجها .. وفعلاً تم استدعاء الأخ ولدى التحقيق أنكر ما أسند إليه ولكن بعد التوسع في جميع أدوار التحقيق.. **اعترف أمام قاضي التحقيق بأنه وسوس له الشيطان كثيراً خاصة بعد التفرج على أفلام ممنوعة.. قال: وكنت أضع المخدر في كأسين واحدة لوالدتي والثانية لزوجة أخي ونشرب الشاي جميعا**..وعندما أعرف أن أمي نامت وتكون زوجة أخي قد ذهبت إلى غرفتها للنوم وأغلقت باب غرفتها من الداخل..أقوم أنا بفتح الباب بمفتاح آخر قد نسخته مسبقاً وكررت هذا الأمر فقط ثلاث مرات و لم أفكر أن أصل إلى هذا الحد..صعق الأخ بهذا الأمر ماذا يفعل .. عاد هارباً إلى الخليج تاركاً وراءه كل شيء وكان عمر أخيه أثناء التحقيق والمحاكمة أقل من ١٣ عاماً..وذهبت الزوجة إلى بيت أهلها ضائعة حاملة وزر جريمة ليس لها علاقة بها سوى أنها وثقت بأخي زوجها المراهق ..لم يقدم أهل الزوجة ادعاء وكذلك الزوج، والجاني حَدَثْ ، وتم التراجع عن الشكوى من قبل أهل الزوجة من أجل لَمِّ الأمر وعدم فضحه في المحاكم .. ولكن نقول ونتساءل: ماذا ستكون النتيجة هل تطلق الزوجة..أم يعود إليها زوجها وينسى الأمر .. وهل تعود الثقة وهل من المعقول أن تصل الغريزة الإنسانية إلى هذه الدرجة من الشهوة الحيوانية التي تسيطر على فكر صاحبها ومع من؟! مع زوجة أخيه التي هي بمنزلة أخته وهو مسؤول عنها في غياب أخيه وهو رجل البيت وحاميه..قد يقول البعض: إنها المراهقة !!نرد عليهم بالقول : إن ملايين الأسر فيها مراهقون ؟!! ولكن هذا يدل على سوء التربية ورفقة السوء والتفرج على أشرطة ممنوعة !! والسؤال المطروح : ما مصير هذه الزوجة المسكينة الغافلة الآمنة المطمئنة في بيت زوجها .. ينالها الغدر ؟! وما هو ذنب الجنين القادم ولمن يقول أبي ؟للجاني ؟أم للأب الشرعي ؟وكيف تصلح الأمور بين الأخ وأخيه وبينهم وبين أمهم ؟. الله عز وجل أعطانا العقل كي يسيطر العقل ويتحكم بالغرائز ونشبعها بالشرع وليس العكس ؟! . اهـ من جريدة تشرين . وأقول إضافة لما قاله المحرر : هذا مصداق قول رسول الله ﷺ (الحمو الموت) ! . وهذه نتيجة الاختلاط ولو مع

٧- **وهنا أمر لا أظنكما عزيزي العروسين تنسيانه ، ألا وهو الصلاة** ، صلاة الصبح بعد ليلة العرس والصلوات بعدها وقد شاع وهم خاطىء لدى بعض الناس، أن العروس لا صلاة عليها سبعة أيام منذ اليوم الأول من العرس وهذا خطأ واضح وجهل فاضح ، فإن الصلاة لا تسقط عن أحد إلا عن الحائض والنفساء ، مدة العذر الشرعي ، فليعلم هذا وليتنبه له .

٨- وهل ستنسى الوليمة – كما ذكرنا لك سابقاً – أم أنك تقول لقد ضيَّفنا المدعوِّين في حفلة العقد ، من الحلو والفواكه ، ألا يكفي هذا عن الوليمة ؟

وأقول لك : في عرف الناس الذين تركوا السنة النبوية يكفي ، أما تعليمات وسنة المصطفى ﷺ فإليك طرفاً منها .

قال أنس ﷺ :(ما رأيت رسول الله ﷺ أَوْلَمَ على امرأة من نسائه ما أَوْلَمَ على زينب فإنه ذبح شاة) رواه البخاري ومسلم وقال ﷺ (أنه لابد للعرس من وليمة) رواه أحمد .

وإذا لم يتيسر لك اللحم فاسمع ماذا كانت وليمته ﷺ على صفية قال أنس ﷺ : (أقام النبي ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاثاً يبني (يتزوج) بصفية فدعوت المسلمين إلى وليمته ، ما كان فيها من خبز ولا لحم ، وما كان فيها إلا أن أمَرَ بالأنطاع (الجلود) فألقي عليها التمر والإقط والسمن) رواه الشيخان .

٧- مسؤولية صيانة الأسرة وحمايتها من التصدع والانهيار

والأسرة ــ عزيزي الزوج ــ غاليتي الزوجةــ بناءٌ ككلِّ بناءٍ ، ومؤسسة قوية بل هي نواة الأمة الكبرى ، لا بدلها بعد الاختيار الموفق لركنيها الزوج والزوجة ، من صيانة مستمرة وحماية دائمة من التصدُّع والانهيار، ومعرفة كيفية هذه الصيانة، وطرق هذه الحماية ، وقد منّ علينا اللطيف الخبير سبحانه وتعالى ، والرسول المعلم المربي ﷺ ببيان القواعد الأساسية للصيانة والحماية وجعل من أهمها معرفة حقوق الزوج على زوجته والزوجة على زوجها ، وحقوق الأولاد الناشئين من هذه الأسرة عليهما، وحقوقهما عليهم .

قال تعالى :﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ، والله عزيز حكيم ﴾البقرة ٢٢٨

وقال تعالى في سورة النساء في الآية الفذة التي تبين بعض حقوق الزوجية، وصفات الزوجات الصالحات ، وقوامة الرجل : ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم ، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله، واللاتي تخافون نشوزهن، فعظوهن واهجروهن في المضاجع، واضربوهن ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً، إن الله كان علياً كبيراً ﴾ ٣٤ الآية . وقال الله تعالى في سورة النساء :﴿ وعاشروهن بالمعروف ، فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ الآية ١٩، وقال تعالى : ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مرئياً ﴾ الآية ٤ النساء ، وقال تعالى في سورة الطلاق :﴿ اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ، فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن

المراهقين ، ونتيجة الغياب الطويل للزوج عن بيته ، وقد كان سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ لا يسمح بغياب المجاهدين عن بيوتهم في الجهاد أكثر من أربعة أشهر ، فاعتبروا يا أولي الأبصار !!

وأتمروا بينكم بالمعروف، وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى ، لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما أتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً ﴾ الآية ٧ الطلاق .

هذه بعض آيات وردت في التنزيل الحكيم كقواعد أساسية ، وأحكام ربانية ، تبيِّنُ واجبات وحقوق كل من الزوجين تجاه الآخر ،وقد فصلها وبينها قولاً وعملاً الزوج المثالي ألا وهو الرسول المربي المعلم صلوات ربي وسلامه عليه ، **فهل لك أخي الزوج أختي الزوجة أن تضعا في منهاج حياتكما المستقبلية هذه القواعد موضع العناية والرعاية حتى تستقيم حياتكما الأسروية ،ويستمر الحب بينكما فياضاً ، وتدوم المودة والرحمة في حياتكما لهذه الأسرة حصناً وسياجاً ؟**

إذن فلنتعرف على هذه الأحكام الربانية كما بينها وطبقها عملياً الرسول الزوج ﷺ ، ولا يغيبَنَّ عن بالكما أيها الزوجان الكريمان ما أوردته لكما في أول هذا البحث من **قولِ** الرسول المربي ﷺ:(النساء شقائق الرجال) ومن **فعلِه** الذي جعل المرأة والرجل صِنْوانِ في بنيان الحياة فأعاد للمرأة بفعله وقوله عزَّتَها وكرامَتها بعد أن هدرتها الجاهلية ، **فصارت بفضل التشريع الربَّاني هي والرجل ركنان في الحياة يكملان بعضهما البعض ،** [1]

ودَعْكُما – عزيزي الزوجان– من الأقوال التي تُرَوِّج هذه الأيام بأن المرأة مهضومة مظلومة، ظلمها الرجل و لم يعطها حقها، وبأنها واقعة تحت تسلط الرجل وحكمه وبأن لابد لها من النضال من أجل استرداد حقوقها ، وأنها ،وأنها ...

فإن كان هذا الكلام يصدق في وقت ما، فإنه يصدق على المرأة التي كانت خارج نطاق الشرع الإسلامي وتطبيقه كما في نساء الغرب وأمثالهن .. أما المرأة في الشريعة الربانية الإسلامية فهي والرجل سواء في كل ميادين الحياة قولاً وفعلاً وتشريعاً وتطبيقاً ، ولا يُنْقِصُ من قيمة الشريعة سوءُ تطبيق بعض الرجال في بعض العصور والأمصار،فإن الحياة السليمة كانت وفق الشريعة المستقيمة تسير صحيحة قويمة، ولا تزال والحمد لله في البيوتات الإسلامية التي تعرف قيمة التنزيل الرباني والتوجيه النبوي ، والرجل والمرأة على السواء وفق هذا الدين القويم لكل منهما دور في إعمار الحياة وبنيان الأمة يؤديه الاثنان معاً لتكمل مسيرة العيش الكريم القويم ، ومن المفيد بل من اللازم أن يطلع الزوجان على أهم مبادىء هذه المسؤولية التي تخص كلاً منهما تجاه الآخر ؛ وأحب أن يفهم الزوجان هنا أن التنزيل الرباني يجب أن يفسر وفق ما فسره الرسول الكريم ﷺ قولاً وعملاً ، ووفق ما تقتضيه قواعد اللغة العربية ؛ وليس كما يتبادر إلى الذهن في زمننا هذا الذي اختلطت فيه المفاهيم حسب آراء من يكتبون أو يتصدون لشرح النصوص وهم ليسوا من أهل الإنصاف أو الفهم المستقيم ، بل حسب أهوائهم وميولهم يَلْوُون عنق النصوص أحياناً ليطوعوها ويميلوها إلى رأيهم وفهمهم ، ولو خالف الفهم الصحيح !.

العلاقة الزوجية ؛ تكاملية (من نفس واحدة)

كما أحب أن أوضح أيضاً أن العلاقة بين الزوجين عبر عنها القرآن الكريم بأجمل وألطف تعبيركما في سورة الروم ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ وقوله سبحانه في أول سورة النساء ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾ وقوله سبحانه في سورة الأنعام {وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ} (٩٨) ، وقال سبحانه {وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ

---

[1] – راجع في القسم الثاني من هذا الكتاب ؛ (زواج رسول الله ﷺ) وكيف كانت سيرته في أزواجه رضي الله عنهن .

وَبِنِعْمَتِ اللّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ} (٧٢) سورة النحل، وغيرها من الآيات التي تعبر بألطف تعبير وأجمل عبارة عن هذين (الجزأين) اللذين خلقا من نفس واحدة (من أنفسكم) وجعل العلاقة الناظمة لهما (المودة والرحمة) وقد يذكر الفقهاء والعلماء في تأصيل قواعد الحياة الزوجية عناوين تسمى (حقوق الزوج على زوجته، وحقوق الزوجة على زوجها) وما يتفرع عن ذلك مما يشعر بالإنفصالية والإستقلالية نوعاً ما وإن كان هذا واقعاً معاشاً ، وحقيقة واضحة .

لكني أحب على ضوء فهمي للنصوص القرآنية أن أتجاوز ما قعَّده علماؤنا وفقهاؤنا من الحقوق الجزئية إلى (التكاملية) والتَّوَحُدِية التي عبر عنها القرآن الكريم (من نفس واحدة) (وخلق منها زوجها) وأن نشعر جميعاً أن الأمر أعظم وأكبر من شخصيتين مستقلتين تريد كل منهما حقوقاً منفردة عن صاحبها ، بل هما جزءان منفصلان عادا ليلتحما (بالزواج) ويكتملا بهذا اللقاء الشرعي ، فيعودا إلى الأصل (النفس الواحدة) .. فليست العلاقة بينهما علاقةُ شريكٍ في متجرٍ بشريكه ، أو عامل في معمل مع ربِّ عمله ، أو جندي بقائده ولا صانع بمعلمه ، إنها علاقة أسمى وأكمل كما عبر عنها الحق (من نفس واحدة) فهي جزء منك ، لا تسكنُ وتستقرُّ إلا بعودتها من منشئها عند أبويها إلى أصلها (الزوج) .. والرابطُ الذي يُؤَطِّرُ هذا اللقاء ويمتِّنُ هذا الالتحام بين الجزء العائد ، والأصل المستقبل هو **المودة والرحمة** ،ذلك الحب العميق الثابت في القلب والرحمة الشاملة التي تجعل هذين الجزأين (الزوجين) منبتاً خصباً ورحماً لما ينبت منهما من نسل وأولاد .

وعلى ضوء هذا الفهم وأرجو أن نشترك جميعاً – أزواجاً وزوجاتٍ وآباءَ وأمهاتٍ– في العيش في ظله،والعمل على ضوئه؛ لنربي البنين والبنات من أجيالنا المستقبلة التي تحيا هذه العلاقة الفطرية كما أرادها الخالق سبحانه، فيحيون الحياة السعيدة التي نرجوها لهم في ظل هذه الحقائق القرآنية .

روابط تمتين وصيانة الحياة الزوجية

بعد هذا الفهم ؛ لا ضير أن نقول ما هي الروابط المشتركة بين الزوجين والأواصر التي تُمَتِّنُ الاكتمال الحياتي لهما ، وتعين على استمرار المودة والرحمة لهما وللأبناء والأحفاد في ظل هذا التوجه الرباني (النفس الواحدة) ، فأقول :

القوامة للرجل والطاعة للمرأة :

(١) ــ مما ذكره علماؤنا في قوله تعالى : ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ أن القوامة هنا هي رئاسة الأسرة ، ولابد أن تكون لواحد ، حتى يستقيم الأمر ، فإما أن تكون للزوج ، وهو الذي يتولى الإنفاق ولأن الله فضَّله بمزيد من القوة والعقل ، وهذه درجة زائدة على ما عند المرأة فيما يستويان فيه ، وإما أن تكون للمرأة ، التي يُنْفَقُ عليها ولا تنفق !! وبما أن الله سبحانه وتعالى بيَّن سببَ إِسْدَاءِ القِوَامةِ للرجل . **وذلك من أجل ما فَضَّلَهُ به ، ومن أجل الإنفاق** ، وهذا لا ينسينا قوله سبحانه : ﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة﴾ . وقوامة الأسرة (أي رئاستها) تستوجب الطاعة من المرؤوسين ، وهذه الطاعة هي أساس الانضباط والتوازن في كل مجتمع صغير أو كبير بدءاً من الأسرة وانتهاءاً بالدولة، وما أكثر الآيات والأحاديث التي تحض على الطاعة وتوصي بها . ومع ذلك فقد رتب الشارعُ على الطاعةِ انسجامَ الأسرة في الدنيا والسعادة الدائمة في الآخرة ، ومن المُسَلَّمِ به أن الإنسان المؤمن يبتغي دائماً في عمله رضى الله سبحانه ومثوبته الأخروية ؛ ولذا كان من إرشاد الرسول المعلم ﷺ في هذا الخصوص

قوله : فيما رواه ابن حبان عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (إذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها وحصَّنت فرجها **وأطاعت زوجها** ، قيل لها ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت) وفي رواية (دخلت جنة ربها) .

وما رواه الترمذي والحاكم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال النبي ﷺ : (وأي امرأة ماتت **وزوجها عنها راض** دخلت الجنة) .

لذلك ؛ سأهمس في أذنك أيتها الزوجة المؤمنة قائلاً : يطلبُ غالبُ نساءِ اليوم رضاءَ من لا يأخذُ بأيديهن إلى الجنة ، فكوني أنت السابقة إلى دخول الجنة من أقصر الطرق وأيسر السبل ، الذي يجعل حياتك الزوجية سروراً وحبوراً ويضفي على أسرتك أنساً وسكينة ، ويمنح ضميرك راحة وهدوءاً **بحيث تجعلين رضا زوجك عنك أساس الإستقرار في الأسرة** .

وعلى ضوء هذا ؛ ولما كان ما يلقاه الأزواج في الجاهلية من الشقاق والإعراض من زوجاتهم ؛ وَجَّهَ النبي ﷺ الخطاب للزوجات المؤمنات ناهياً لمن أراد أن يسجد له قائلاً : (**لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها كله ، حتى لو سألها نفسها وهي على قَتَبٍ لم تمنعه**) رواه الإمام أحمد والبيهقي . ومعنى وهي على قتب : أي على كرسي الولادة ، وقد كانت قوابل (الدايات) العرب تستعين (بالقتب) الذي يوضع على ظهر الجمل في تسهيل عملية الولادة .

ولنتصور العكس فيما لو لم تكن الطاعة ؟! كيف يكون حال هذا البيت الذي لا طاعة فيه لا من الزوجة ولا من الولد لمن له حق الطاعة ، وكم خربت بيوت ، وتشتت أُسَرٌ بسبب عدم طاعة الزوجة لزوجها ، وفي الواقع أمثلة كثيرة وشواهد على ما نقول .

ولنا أن نتصور كيف يكون حال بيت زوجين ، فارقت فيه الزوجة فراش زوجها ، غاضبة أو عاصية ، هل ينام الاثنان في أمان وهدوء وراحة واطمئنان ، سوف نقول كلا وألف كلا ، فهل يسرُّك أيتها الزوجة العاقلة الفطنة أن تكوني ملعونة من قبل الملائكة ؟ (والجواب لا ، لا يسرك ولا يسر زوجك الذي أحبك وقدم الكثير من أجلك) فتركْتِ فراش الزوجية من أجل سبب تافه ، إذن فاسمعي تحذير الرسول المصطفى ﷺ من ذلك حيث يقول : (**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته، فبات غضبان عليها ، لعنتها الملائكة حتى تصبح**) رواه البخاري ومسلم .

وبالطبع لن تكوني من أمثال هؤلاء الزوجات وأنت المؤمنة الفطنة،والزوجة المطيعة التقية، بل ستقولين إن قدوتي تلك الزوجة المؤمنة من أصحاب رسول الله ﷺ التي أوصاها زوجها قبل سفره ألا تخرج من بيتها ، وكانت تقيم في دار علوية وأبوها في دار سفلية ، فمرض أبوها فأرسلت إلى النبي ﷺ فذكرت ذلك له ، فقال (أطيعي زوجك)،فمات أبوها ، فأرسلت إلى النبي ﷺ فقال (أطيعي زوجك) فأرسل إليها النبي ﷺ (إن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها) كما رواه الطبراني عن أنس ﷺ

وقد تقولين كيف يمرض أبي ويموت ولا أذهب إليه ، ما هذا التعسف من الزوج ؟! ولكن مهلاً أيتها المؤمنة، فإن زوجها لم يمنعها من زيارة أبيها ولا علم له بمرضه وموته ، ولكنه أوصاها بعدم الخروج من البيت طيلة سفره فأطاعت زوجها وامتثلت أمر النبي ﷺ وماذا كانت النتيجة ؟ كانت المغفرة لأبيها على لسان الصادق المصدوق ﷺ بفضل طاعتها لزوجها ،

فهل رأيت أختي المؤمنة كيف كانت بركة الطاعة ؟! **ومن الواضح أن شؤم المعصية هو لعنة الملائكة لمن تخرج من بيتها دون إذن !! وهل يعي هذا فتياتنا المؤهلات للزواج ؟ وهل تدرِّبُنَّ أمهاتهن على هذه الآداب التي تحفظ البيوت من الخراب؟** فقد روى البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما (**أن امرأة أتت النبي ﷺ فقالت يا رسول الله ماحق الزوج على**

الزوجة فقال حقه عليها ألا تخرج من بيتها إلا بإذنه ، فإن فعلت (خرجت بغير إذنه) لعنتها ملائكة السماء وملائكة الرحمة وملائكة العذاب حتى ترجع) ونعوذ بالله من لعنة الله وطرده .

هل تخرج الزوجة بلا إذن لمجالس العلم ؟ وهذه مسألة تقع كثيراً ونسأل عنها ، وهي أن بعض النساء قد يكن ملتزمات لبعض أهل العلم من الرجال والنساء يحضرن مجالسهم العلمية ، أو مجلس الذكر والوعظ قبل الزواج أو بعده ، وبعضهن يعتبرن أن لهن الحق في الخروج إلى هذه المجالس دون إذن الزوج ، لأنهن بزعمهن قد أوصاهن أشياخهن أو شيخاتهن بعدم الانقطاع عن المجلس ولو لم يأذن الزوج ، وهذا كلام باطل مردود على صاحبه ، ولا يقوله من له أدنى اطلاع على قواعد الشريعة وتوصيات الرسول ﷺ للمرأة بطاعة الزوج ، وما ذكرناه من الأحاديث ، وما نذكره هو الرد الكافي على ذلك ، وأن المرأة التي تخرج دون إذن زوجها لأي مجلس كان ، أو تنشغل في بيتها بذكرها أو قراءة القرآن ولا تلبي حاجة الزوج ، هي عاصية لله سبحانه غير مطيعة له ، اللهم إلا أن يأمرها بمعصية ، فإنها لا تطيعه ، وفي الصفحات التالية ، (**حسن المعاشرة الزوجية**) فيه تفصيل كاف لما نقول .

لذلك اتَّفِقْ أخي الزوج مع زوجتك في مسائل الدخول والخروج ، فيما إذا لم تكن صاحبة وظيفة تخرج إليها ، اتفقا على هذه المسائل ، حتى تستقيم لكما الحياة الزوجية ، ولا يدخل فيها عليكما منغص أو مفسد ، واتفقا أيضاً فيمن يَدْخُلُ بيتكُما ومن تدخلين عليه ، ومن لا يحب الزوج دخوله على بيتكما من جيران أو أقارب أيضاً .

ولقد قال علماؤنا : لا ينبغي للزوج منعها من عيادة والديها وزيارتهما لأن ذلك قطيعة رحم ، وقد تؤدي إلى مخالفة الزوجة للزوج ، وهذا ليس من المعاشرة بالمعروف التي أمر الله سبحانه بها .[1]

وهناك أمر يجب ألا يغيب عن بال الزوجين ؛ أن الزوج لا يطاع إذا أمر بمعصية لأن الطاعة في المعروف وليس في المنكر، ولها أن تبين له أنها معصية بأدَبٍ ورِفْقٍ وكلامٍ ليِّنٍ ، فإذا لم يرتدع امتنعت أيضاً بلطف وأدب مع حزم وصبر , **وبخاصة إذا طلب منها أن يأتيها في الحيض أو في الدبر ، فلا تمكنه من ذلك وإن أمر وغضب . (لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)** .

تخلق الزوجة بأخلاق الحور العين :

(٢) ومن القواعد التي تعين على تمتين أواصر المحبة بين الزوجين أن تتخَلَّقَ الزوجة بأخلاق الحور العين اللواتي وصفهن الله سبحانه بقوله :﴿ إنا أنشأناهن إنشاءً فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً ﴾ وقوله تعالى : ﴿وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ وقوله تعالى :﴿ فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ﴾ قال أهل اللغة : العَرُوبُ المتحببة إلى زوجها ، والحور العين ؛ من صفاتهن ما ذكره الله سبحانه وتعالى ، كما أنهن مكنونات كاللؤلؤ ، مصونات محفوظات لا يطلع عليهن إلا أزواجهن .وأعينهن لا تتطلع إلى غير أزواجهن ، فقصرها على الأزواج ، ولذلك أمر الحق سبحانه النساء المؤمنات بهذا فقال في سورة الأحزاب: موجهاً الخطاب لنساء النبي ونساء المؤمنين ﴿ وَقَرْنَ في بيوتكن ، ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله .. ﴾ الآية وقال تعالى قي نفس السورة ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ الآية ٥٩ الأحزاب ، وقال تعالى في سورة النور ﴿ ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ﴾ الآية ٣١ النور

---

[1] – انظر مفصلاً : تحفة العروسين ص١٥٤

فمملكة المرأة المؤمنة المحتشمة في بيتها كما قال الله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾ وإذا خرجت المرأة منه لحاجة فلا تَتَبَرَّجُ تبرج الجاهلية الأولى ولا (المعاصرة) ومن التبرج ؛ إبداءُ الزينة وكشف المستور منها، فذلك ليس من خُلُقِها،لأنها إنما تتزين لزوجها لا للناس ولا تبدي ما يحرم عليها كشفه لغير زوجها أو محارمها، فهي تحفظ نفسها وتحصن فرجها إلا على بعلها وقد مر معنا من صفات المرأة الصالحة (إذا نظر إليها سرته) فهي جميلة أو متجملة ، ولذلك نهى النبي ﷺ الأزواج أن يفاجئوا زوجاتهم بعد عودتهم من السفر بل يرسلون خبراً حتى تستكمل المُغَيَّبَةُ زينتها وهندامها فقال ﷺ فيما رواه البخاري (أمهلوا حتى تدخلوا ليلاً ، لكي تمتشطَ الشَّعِثَةُ ، وتَسْتَحِدَّ المُغَيَّبَةُ)

والشَّعِثَة : التي لم تمتشط منذ زمن لغياب زوجها ، وهي المُغَيَّبَة التي غاب عنها زوجها ، وتستحد ؛ تزيل الشعر الزائد من جسمها . فإذا أقبل هذا الزوج الغائب المشتاق للقيا زوجته ، وجدها نظيفة جميلة ، ناعمة متجملة تنتظر لقيا البعل الغائب ، فتقضي معه وقتاً طيباً وتمتعه بنفسها ويمتعها بنفسه مراعياً بذلك ما ذكرناه آنفاً من آداب المعاشرة الزوجية ، متذكرة بذلك قول النبي ﷺ عندما سئل أي النساء خير ؟ فقال :(التي تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر ، ولا تخالفه في نفسها وماله بما يكره) فهو يُسَرُّ بنظره إليها في هندام جميل وقوام لطيف ، وهو أفلا يطلب منه ذلك أيضاً ؟ بلى إنه يطلب منه أن يتزين لها أيضاً ، **لذلك أخي الزوج ، إذا قدمت من عملك وكان يحتاج إلى تغيير ثياب العمل ، فعليك بإصلاح هندامك وتحسين قيافتك ، وأن تكون لها كما تحب أن تكون لك ، فهذا من أواصر دوام المودة والمحبة بينكما ..**

حفظ أسرار البيوت وعدم إدخال المخربين والمخربات إليها :

٣- ومن الآداب الإسلامية في قواعد صيانة الحياة الزوجية ، أن تصون المرأة هذا البيت الزوجي عما يؤذيه لأنها سيدة البيت في غياب الزوج وسفره ، وفيما لا يطلع عليه غيرها ، فلا تأذن بدخوله لمن يكره الزوج ، ولمن تعلم أنه سيكون سبباً في إفساد الحياة الزوجية ولو كان من أقاربها فقد أوصى بذلك الرسول المصطفى ﷺ في حجة الوداع فكان مما قاله (ألا إن لكم على نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً ، فحقكم عليهن ألا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذنَّ في بيوتكم لمن تكرهون ، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا في كسوتهن وطعامهن) رواه الترمذي .

وكم خربت بيوت من جراء دخول نساء أو رجال لا يخشون الله في أعراض الناس وبيوتهم فيدخلون بالفساد ، ويخرجون بالفساد ، .. وهذا الأمر يتفق عليه بين الزوجين ، وبالاتفاق تنحسم مادة الخلاف .

وما أنقله لك من خبر في الهامش هو بعض مما يجري من دخول أُناس لا يخشون الله ويتسببون في خراب البيوت [1]

---

[1] ذكرت صحيفة تشرين الدمشقية بعددها الصادر يوم ١٩ /٧/ ٢٠٠٤ ما يلي بعنوان : **الجارة دست المخدر في الشاي والزوجة غرست السكين في القلب** : لم يكن أحمد يعرف أن لقاءه بوفاء سيقود إلى قتله في يوم من الأيام ، كان أول لقاء بينه وبينها في منزل أحد أخواها ، كانت وفاء تبدو طيبة وبشوشة ، وتردد لنفسه أنها الفتاة التي يبحث عنها فلماذا لا يطلبها للزواج ؟ تقدم أحمد لخطبة وفاء بعد أن كان قد سأل عنها وعن أسرتها وعلم أنها فتاة عفيفة وعلى خلق، تنتمي لأسرة متوسطة الحال،وهو مهندس وميسور الحال...باركت الأسرة زواجهما، وتمت مراسم الزواج خلال شهور قليلة ، عاشا أسابيع من الهناء بعد أن أتفقا على ألا يكون للمشكلات مكان في حياتهما .. وبعد انقضاء شهر العسل **عانت وفاء الوحدة القاتلة بسبب انشغال زوجها في عمله** ، وخلال ساعات الانتظار الطويلة في المنزل تعرفت على جارة لها مطلّقة في العمارة نفسها التي تسكن فيها ، ولم تكن الجارة سميرة تفارقها ليل نهار ، وعرفت سميرة أدق تفاصيل حياتها الزوجية حتى أسرار العلاقة الزوجية . سئم الزوج من كثرة تردد الجارة التي كلما دخل المنزل مساءً وجدها أمامه إلى جوار زوجته ، وكلما خرج في طريقه إلى عمله وجدها أمامه ، توشك أن تقرع جرس الباب لتجتمع بزوجته ... لقد أصبحت سميرة جزءاً من حياتها ، وبدا واضحاً للزوج تأثير الجارة

التعاون على تدبير المعيشة وعدم التبذير والإسراف :

٤- ومن أمهات أسباب صيانة البيت الزوجي أن يحفظ الزوجان مال الأسرة عن التبذير والإسراف ، والتقتير والإجحاف، فهو ينفق من سعته على أسرته (زوجه وأولاده) قال الله تعالى:﴿ لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها ﴾ الطلاق ٧ الآية .

وبحسب مسؤوليته أمام الله فهو راع لأسرته (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته والأمير راع والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) رواه الشيخان واللفظ للبخاري كتاب النكاح ، وقوله ﷺ : (كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت) وهي (الزوجة) راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها كما روى ذلك الشيخان ، والنفقة أوجبها الشرع على الزوج بموجب عقد الزواج ولو كانت الزوجة غنية ، لأنها حبست نفسها لأجله ولأجل بيته وأولاده ، فلها النفقة بالمعروف من الكسوة والطعام والسكنى وهذا مقدر بكفايتها وكفاية أولادها وقد قال الرسول المربي ﷺ لهند : (خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف) أي من مال زوجك .

فهو منفق بإيجاب الله عليه وهي مدبرة أمور البيت ، مُصْلِحَةٌ فيه مربِّيَةٌ للأولاد محسنة في تدبيرها لا تكلفه رهقاً ، ولا تطلب منه ما لا يطيق حتى لا تتسبب في إحراجه وسعيه لسبل لا يرضاها الشارع الحكيم ، وقد أخبر الرسول المعلم ﷺ (**أن أول ما هلك بنو اسرائيل ؛ أن امرأة الفقير كانت تكلفه من الثياب أو الصنيع ما تكلف امرأة الغني**) أخرجه ابن خزيمة .

على زوجته ، عندما بدأت وفاء تعصي أوامره التي لم تكن ترفضها من قبل ، عندها توصل الزوج أحمد إلى نتيجة ليبعد هذه المرأة التي فرضت نفسها على بيته وحياته ، فأخبر زوجته بأنه يريد إنجاب طفل ، لكن سميرة أوقعت فيما بينهما فحرضت الزوجة على عدم الإنجاب بزعم ألا يمل منها الزوج عندما تنشغل بالطفل واستمعت وفاء لنصيحة جارتها ، وتحول المنزل إلى جحيم ، بدأ الزوج يطلب من زوجته أن تبعد جارتها عن حياتهما وألا تدخل شقتها، لكن وفاء رفضت وقالت له : لا أستطيع أن ابتعد عنها فهي صديقتي الوحيدة .. شكا أحمد حاله لأهل زوجته لكنهم أجابوه ، بأنها زوجته وله الحق أن يفعل معها ما يريد ، وتحدث مع أهله يروي لهم مأساته ورغبته في التخلص من زوجته ، حزنت أمه لحاله كثيراً وأشارت عليه بالزواج عليها من إحدى قريباته . تزوج أحمد دون علم وفاء وادعى أنه مسافر في مهمة عمل وعاش أياماً سعيدة مع زوجته الثانية حتى علمت الجارة بزواجه فقامت بالإسراع في زف خبر زواجه إلى صديقتها وفاء . ملأت الجارة قلب وفاء بالحقد على زوجها والتقى تفكيرهما الشيطاني بالتخلص من الزوج إلى الأبد . واستدرجتاه إلى المنزل الذي لم يعد يأتي إليه بزعم أن وفاء مريضة وتريد رؤيته . قامت الجارة بوضع المخدر في الشاي للزوج . وتناولت وفاء السكين وغرستها في صدر زوجها وكانت طعنة واحدة مسددة بعناية كافية للقضاء عليه و لم يشعر أحد بما جرى .. ذهبت وفاء وسميرة إلى قسم الشرطة تحرران بلاغاً بأن الزوجة كانت غائبة وعندما عادت وجدت زوجها جثة هامدة .. اتهم أهل الزوج وفاء بقتله بعد أن قدموا بلاغاً رسمياً بذلك وبعد تحريات رجال الشرطة وأقوال أهل الزوج والجيران اعترفت الزوجة وفاء بالجريمة مبررة أنها قتلته انتقاماً لنفسها بعد زواجه بأخرى وإن صديقتها سميرة كانت الشاهدة على القتل وحرضتها عليه.. أنكرت سميرة ما أدلت به الزوجة في تحقيقات الشرطة ، لكن بعد مثولها أمام النيابة اعترفت بتحريض الزوجة على القتل لكنها لم تشترك فيه . **تعليق المحرر** :(ربما لو لم تعرف وفاء جارتها سميرة ، و لم ترحب بصداقتها وأطاعت زوجها بالابتعاد عنها لما كانت النهاية مقتل زوجها أو حتى الإقدام على زواجه عليها ..) . اهـ من جريدة تشرين . **تعليق المؤلف** : فليحذر الزوجان مخالفة شريعة الله ،= = وبخاصة الزوجة ، فلا تدخل بيتها من يكرهه الزوج ، وعلى الزوج أن يختار الجيران الصالحين ويتفقد ما يجري حوله ، ويتعاون مع زوجته على اختيار من يزورهم ويزورونه وعلى الزوجة ألا تخفي على زوجها الأمور التي تحدث معها ..وليتق الله الزوجان ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ وليملأ فراغ حياتها بما يُشغلها بطاعة الله وطاعته والله الموفق . أبو يحيى .

لذلك عليكما أيها الزوجان الكريمان أن تتعاونا في تدبير أمر النفقة والمعيشة ، (والتدبير نصف المعيشة) و(ما عال مقتصد) كما في الحديث[1] وبخاصة إذا كانت الزوجة ذات راتب وأرادت أن تشارك في النفقة على البيت تطوعاً وإحساناً فإن فعلت دون منَّةٍ ولا أذى،فإنها تزيد عرى المحبة والمودة وثوقاً،وتساهم في تقوية سور البيت الزوجي ورسوخ بنيان الأسرة.

ومن البديهي أن الحب بين الزوجين يُرْخِصُ المال لأن المال جعل وسيلة لقضاء الحاجات ، ومن حسن التبعل أن يتشارك الزوجان ويتعاونا في القيام بحوائج البيت وتربية الأسرة ، وهكذا تفعل النساء الصالحات وقد ذكرت كتب السيرة والسنة أن السيدة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها لما تزوجها الزبير بن العوام ﷺ ، كانت تقوم بخدمة البيت وإصلاح شؤونه فكانت تَعْلِفُ فرس الزبير ، وتسُوسُه (أي تدبر أموره) وتدُقُّ النوى (عجو التمر وتجعله علفاً) وتستقي الماء (تجلبه من البئر) وكذلك كان نساء الصحابة يفعلن ، وكان الرسول ﷺ الزوج أكرم كل الأزواج فقد قال (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي) فكان ﷺ يشارك في مهنة أهله، فيحلب شاته، ويرقع ثوبه ويخصف نعله ، فإذا حضرت الصلاة ذهب إليها. فتدبير أمر المترل عندما يكون قائماً على تعاون الزوجين كُلٌّ فيما يحسن وفيما يمكنه ، هو من عناصر ديمومة واستمرار الحياة الزوجية والأسرية القائمة على المودة والرحمة ،

حسن المعاشرة الزوجية :

٥- **ومن أهم مقومات الحياة الزوجية السعيدة حسن العشرة** لقوله تعالى:﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ وقوله تعالى:﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ﴾ وقوله ﷺ : (خياركم خياركم لنسائهم خلقاً) وقوله ﷺ (استوصوا بالنساء خيراً) .

ويدخل تحت هذه القاعدة فروع كثيرة ؛

أ- فمن **العشرة بالمعروف** أن يحسن الزوج معاملة شريكة حياته فيصفح عن تقصيرها إن قصرت وليذْكُر ؛ أنها قد تنسى أو تَأْسى (تحزن) ، ومن أجل **النسيان** جعل الله سبحانه شهادة امرأتين برجل فقال تعالى: ﴿ أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ﴾ البقرة ، ومن أجل **الأسى والحزن** كانت العاطفة والرحمة لديها أكثر من الرجل!!

ب- **ومن العشرة بالمعروف** أن يصبر الزوج على ما يصدر من إساءة إن حصلت لقوله تعالى :﴿ فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾ النساء ١٩ ، وقوله ﷺ (لا يَفْرَك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلق رضي منها آخر) رواه مسلم , أي لا يغضب الزوج المؤمن من زوجته المؤمنة لسوء خلق منها ، فينظر إلى أخلاقها الحسنة الأخرى .

جـ- **ومن العشرة بالمعروف** ؛ أن يلاعبها ويمازحها ، ويَسْمَرَ معها كما كان يفعل النبي ﷺ مع نسائه ، كما في حديث أم زرع ، وكما سابق النبي ﷺ عائشة مرة فسبقها ، وسابقته أخرى فسبقته . وفي هذا يقول الحبيب المصطفى ﷺ (**وكل ما يلهو به الرجل المسلم باطل إلا رميه بقوسه ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله (زوجته) فإنهن من الحق**)رواه الترمذي.

د- **ومن العشرة بالمعروف** : السهر عليها في مرضها ، وتعبها ، والصبر عليها في أوقات حيضها ونفاسها ، فإنها حالات مستمرة تأتيها وتكون أحياناً أشد من المرض ،

---

[1] – حديث (التدبير نصف المعيشة) جزء من حديث تمامه (والتودد نصف العقل ، والغم نصف الهرم ، وقلة العيال أحد اليسارين) قال في كشف الخفا رواه الديلمي عن أنس ، ومرَّ في حديث الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة ، قال فيه ، رواه البيهقي وضعفه وله شواهد منها ما عند الديلمي (التدبير نصف المعيشة) وحديث (ما عال مقتصد) رواه الدارقطني والطبراني عن ابن عباس و(ما عال من اقتصد) رواه الإمام أحمد عن ابن مسعود كما في الجامع الصغير للسيوطي .

هـ ـ **ومن المعاشرة بالمعروف** : أن يحفظ عرضها ومالها ، ولا يؤذيها بسبب أهلها أو انتقاصهم أو تحقيرهم ، وكذلك تحفظ عرضه وماله كما مر في حديث المرأة الصالحة (إذا نظر إليها سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله) .

شكوى زوجية طريفة :

ومن حفظ العرض أن **تَعُفَّ زوجها ولا تقصر في قضاء حاجته الجنسية ، وتتعرض هي له وتتهيأ له ، وكذلك هو** ؛ بألا يهمل حقها أيضاً ولا يتركها فوق ثلاث ليال دون مضاجعة فقد ورد في كتب التفاسير؛أن امرأة جاءت إلى عمر بن الخطاب ﷺ فقالت يا أمير المؤمنين ، إن زوجي يصوم النهار ، ويقوم الليل، وأنا أكره أن أشكوه ، وهو يعمل بطاعة الله عز وجل ، فقال لها نِعْمَ الزوج زوجك ، فجعلت تكرر عليه القول وهو يكرر عليها الجواب .

فقال له كعب الأسدي : يا أمير المؤمنين ، هذه المرأة تشكو زوجها في مباعدته إيَّاها عن فراشه . فقال عمر كما فهمت كلامها فاقض بينهما. فقال كعب : علي بزوجها ؛ فأتي به فقال له : إن امرأتك هذه تشكوك . قال : أفي طعام أم شراب ؟ قال : لا . فقالت المرأة :

يا أيها القاضي الحكيم أنشدُهُ ... أَلْهى خليلي عن فراشي مسجدُه
زهدهُ في مضجعي تعبُّدُه ... فاقضي القضا كعبٌ ولا تردِّده
نهاره وليله ما يرقده ... فلست في أمر النساء أحمدُه

فقال زوجها :

زهَّدني في فراشها وفي الحجَلْ ... أني امرؤ أذهلني ما قد نزلْ
في سورة النحل وفي السبع الطِّوَلْ ... وفي كتاب الله تخويف جَلَلْ

فقال كعب :

إنَّ خيرَ القاضِيَيْنِ من عدل ... ثم قضى بالحق جهراً وفَصَلْ
إن لها حقاً عليك يا رجل ... تصيبُها في أربعٍ لمن عقل
قضيَّةٌ من ربها عز وجل ... فأعطها ذاك ودع عنك العلل

ثم قال : إن الله عز وجل قد أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فلك ثلاثة أيام ولياليهن تعبد فيهن ربك / ولها يوم وليلة .

فقال عمر ﷺ : والله ما أدري من أي أمريك أعجب ؟ أمن فهمك أمرهما أم من حكمك بينهما ؟ .. اذهب فقد وليتك قضاء البصرة . (وانظر القصة في كتاب البدور في أحوال ربات الخدور ص٦١)

و ـ **ومن معاشرة المرأة لزوجها بالمعروف** ؛ أن تتعهد الزوجة المؤمنة أسباب راحة الزوج ، ومداومتها على تلك الأسباب

ومن المفيد أن نذكر وصية أمامة بنت الحارث لابنتها حين زفت إلى زوجها فقالت :

(**أي بُنَيَّة** : إن الوصية لو كانت تُتْرَكُ لفضْلِ أدبٍ أو لتقدُّم حَسَبٍ ، لزويت ذلك عنك ولأبعدته منك ، ولكنها تَذْكِرةٌ للغافل ومعونة للعاقل .

أي بُنَيَّة : لو أن المرأة استغنت عن زوجٍ لِغنى أبويها وشِدَّة حاجتِهما إليها،كنت أغنى الناس عن ذلك، ولكن النساء للرجال خُلقن ولَهُنَّ خُلِق الرجال .

أي بُنَيَّة : أما إنَّك قد فارقتِ الحمى الذي منه خرجْتِ ، وخَلَّفْتِ العُشَّ الذي فيه دَرَجْتِ ، إلى وِكْرٍ لم تعرفيه ، وقرينٍ لم تألفيه ، فأصبح بِمُلْكِه عليك مليكاً ، فكوني له أمة يكن لك عبداً وشيكاً ، واحفظي له خصالاً عشراً تكن لك ذخراً :

أما الأولى والثانية : فالصحْبَةُ بالقناعة ، والمعاشرَةُ بحسْنِ السمعِ والطاعة ؛ فإن في القناعة راحةَ القلب وفي حسن المعاشرة رضى الرب .

وأما الثالثة والرابعة : فالمعاهدة لموضع عينيه ، والتفقد لموضع أنفه ، فلا تقع عيناه منك على قبيح ولا يشتَمَّ منك إلا أطيب ريح .[1]

وأما الخامسة والسادسة : فالتعاهد لوقت طعامه ، والتفقد لحين منامه ، فإن حرارةَ الجوع مُلْهِبَةٌ وتنغيصُ النوم مغضبة .

وأما السابعة والثامنة : فالاحتراس بماله ، والإرعاء على حشمه وعياله ، ومِلاكُ الأمر في المال حسن التقدير وفي العيال حسن التدبير .

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تفشين له سراً ، ولا تعصين له أمراً ، فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره . واتقي مع ذلك كله الفرح إن كان تَرِحاً (حزيناً) ، والإكتئاب إذا كان فرِحاً فإن الأولى من التقصير والثانية من التكدير ، وأشد ما تكونين له موافقَةً أطولَ ما يكونُ لك مرَافَقَةً .

واعلمي يا بنية أنك لا تقدرين على ذلك **حتى تؤثري رضاه على رضاكِ ، وتقدمي هواه على هواكِ مهما أحببت أو كرهت** والله يصنع لك الخير واستودعك الله) .

ز ـ **ومن المعاشرة بالمعروف** قيام الزوجة بأمور البيت على أحسن وجه من الخدمة وتهيئة الطعام والأثاث وما يتعلق بأمور البيت .

ح ـ **ومن المعاشرة بالمعروف** ، مقابلة الخلق الكريم بالخلق الكريم ، وهذا من الوفاء وحسن الخلق ، وألا يقابل أحد الزوجين الإساءة من الآخر إلا بالحسنة .

قصة زواج القاضي شريح :

ومما يذكر في هذا الموضوع قصة زواج القاضي شريح وهي نموذج رائع للتأسي والإقتداء :

عن الشعبي قال : لقيني شريح فقال لي : يا شعبي ، عليك بنساء بني تميم ، فإني رأيت لهن عقولاً ، فقلت وما رأيت من عقولهن ؟ قال : أقبلت من جنازة ظهراً فمررت بدورهن ، وإذ أنا بعجوز على باب الدار ، وإلى جانبها جارية كأحسن ما رأيت من الجواري ، فعدلت إليها ، واستسقيت وما بي من عطش ، فقالت : أي الشراب أحب إليك ؟ قلت ما تيسر ، قالت : ويحكِ ، يا جارية ، ائتِه بلبن ، فإني أظن الرجل غريباً ، فقلت للعجوز : ومن تكون هذه الجارية منك ؟ قالت : هي زينب بنت جرير إحدى نساء بني حنظلة ، قلت : هي فارغة أم مشغولة ؟ قالت : بل فارغة ،

قلت : أتزوجينيها ؟ قالت : إن كنت كفاء — ولم تقل كفؤاً وهي لغة بني تميم — فتركتها ومضيت إلى منزلي لأقيل فيه ، فامتنعت مني القائلة ، فلما صليت الظهر أخذت بيد إخواني من العرب الأشراف علقمة بن الأسود والمسيب ، ومضيت أريد

---

[1] – مما ورد في وصية عامر بن الظرب لما زوَّج ابنته لابن أخيه قال لأمها : [يا هذه ، مري ابنتك فلا تزلن فلاة إلا ومعها ماء ، وأن تكثر استعمال الماء ، فلا أطيب منه ، وإن الماء جعل للأعلى جلاءً (أي للوجه) وللأسفل نقاءاً . (أي فلتبالغ في الاستنجاء وتنظيف المخارج)] من كتاب البدور ص ٤٦ .

عمها فاستقبلنا وقال : ما شأنك أبا أمية ؟ قلت : زينب ابنة أخيك ، قال ما بها عنك رغبة . فزوجنيها ، فلما صارت في حِبَالي ندمت ، وقلت أي شيء صنعت بنساء بني تميم ، وذكرت غلظ قلوبهن فقلت أطلقها ، ثم قلت : لا ولكن أدخل بها ، فإن رأيت ما أحب وإلا كان ذاك ؛ فلو شهدتني يا شعبي وقد أقبلت نساؤها يهدينها حتى أدخلت علي فقلت : إن من السنة إذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم ويصلي ركعتين ، ويسأل الله من خيرها ويتعوذ من شرها ، فتوضأت فإذا هي تتوضأ بوضوئي ، وصليت فإذا هي تصلي بصلاتي ، فلما قضيت صلاتي أتتني جواريها فأخذن ثيابي ، وألبستني ملحفة قد صبغت بالزعفران ، فلما خلا البيت دنوت منها ، فمددت يدي إلى ناصيتها فقالت : على رِسْلِكَ يا أبا أمية (أي على مهلك)كما أنت ثم قالت :

الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأصلي على محمد وآله ، فإني امرأة غريبة ، لا علم لي بأخلاقك ، فبيِّنْ لي ما تحبه فآتيه ، وما تكره فأجتنبه ، فإنَّهُ قد كان لك منكح في قومك ولي في قومي مثل ذلك، ولكن إذا قضى الله أمراً كان مفعولاً، وقد ملكتَ فاصنع ما أمرك الله تعالى به : إما إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولك ولجميع المسلمين .

قال شريح : فأحوجتني والله يا شعبي إلى الخطبة في ذلك الموضع فقلت : الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأصلي على محمد وآله أما بعد : فإنكِ قلتِ كلاماً إن ثَبَتِّ عليه يكنْ ذلك حظّاً لي ، وإن تَدَعيه (تتركيه) يكن حجة عليك ، أُحِبُّ كذا وكذا وأكره كذا وكذا وما رأيت من حسنة فابثثيها (فانشريها) وما رأيتِ من سيئة فاستريها.

قالت :كيف محبتك لزيارة الأهل ؟ قلتُ ما أحبُّ أن يَمَلَّني أصهاري . قالت : فمن تُحبُّ من جيرانك أن يدخلَ دارَك آذن له ، ومن تكرهه أكرهه ؟ قلت : بنو فلان قوم صالحون ، وبنو فلان قوم سوء .

قال شريح : فبتُّ معها يا شعبي بأنعمِ ليلةٍ ومكثت معي حولاً (سنة) لا أرى منها إلا ما أحبُّ ، فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء ، وإذا أنا بعجوز في البيت ، تأمر وتنهى . قلتُ من هذه ؟ قالوا : فلانة أم حليلتك (حماتك) . قلت مرحباً أهلاً وسهلاً ، فلما جلست أقبلت العجوز فقالت : السلام عليك أبا أمية ، فقلت : وعليك السلام ومرحباً بك وأهلاً ، قالت : كيف رأيتَ زوجتَك ؟ قلتُ :خيرَ زوجة وأوفق قرينة . لقد أدبتِ فأحسنتِ الأدب ، وريَّضتِ فأحسنتِ الرياضة ، فجزاك الله خيراً ، فقالت : يا أبا أمية ، إن المرأة لا تكون أسوأ حالاً منها في حالتين ، قلت : وما هما ؟ قالت : إذا ولدت غلاماً ، أو حَظِيَتْ عند زوجها ، فإن رابك مريب فعليك بالسَّوط فوالله ما حاز الرجال في بيوتهم شراً من الروعاء المدلَّلة ، فقلت : والله لقد أدبت فأحسنت الأدب ، وريضت فأحسنت الرياضة ، قالت كيف تحب أن يزورك أصهارك ؟ قلت : ما شاؤوا ، فكانت تأتيني في رأس كل حول فتوصيني بتلك الوصية . فمكثتُ معها عشرين سنة عاماً لم أعبْ عليها شيئاً ، وكان لي جار من كندة يُفَزِّع امرأته ويضربها فقلت في ذلك :

رأيت رجالاً يضربون نسائهم ... فشلت يميني يوم تضرب زينب

أأضربها من غير ذنب أتت به ... فما العدل مني ضرب من ليس يذنب

فزينب شمس والنساء كواكب ... إذا طلعت لم يبد منهن كوكب [1]

ط – **ومن حسن المعاشرة** ألا تصومَ نفلاً إلا أن يأذن لها ، لعلَّ لهُ حاجةً إليها ؛ أخرج البزار : عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن امرأة من خثعم أتت رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله أخبرني ، ماحق الزوج على الزوجة فإني امرأة أيِّمٌ فإن

[1] – البدور في أحوال ربات الخدور (للشيخ محمد أبو اليسر عابدين ط١ ص١٥٨) .

استطعتُ وإلا جلستُ أيِّماً ؟ قال :(**فإن حق الزوج على زوجته إن سألها نفسها، وهي على ظهر بعير أن لا تمنعه نفسها، ومن حق الزوج على الزوجة ألا تصوم تطوُّعاً إلا بإذنه ، فإن فعلت جاعت وعطشت ولا يقبل منها، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه ، فإن فعلت لعنتها ملائكة السماء، وملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب ، حتى ترجع**) قالت:لا جرم (حقاً) لا أتزوج أبداً .

ي – **ومن حسن المعاشرة** وعظ الزوجة ؛ إن قصَّرتْ أو أساءَتْ في أمر من أمور الحياة الزوجية أو الدينية ، وخرجت عن الطاعة الشرعية ، وهذا الوعظ طبقاً للتنزيل الربَّاني في آية البقرة ﴿فعِظُوهن﴾ ويكون بما يناسب حالها من التخويف بالله أو رجاء ما عند الله من مثوبة وهنا تكمن حكمة الزوج وفطنته، وحسن صبره وخلقه، فكم هزت المشاعر كلمة صادقة لطيفة، وكم هذَّبَتْ من خُلُقٍ سيِّءٍ موعظةٌ نابعة بإخلاص من قلبٍ محبٍ لزوجة تشاركه عمره ، وقد قال الله سبحانه ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ وأسلوب الموعظة يتضمن ما ذكرنا وإذا أضيف إليه القصة المناسبة ، والمثل المعروف، وبعض شواهد الواقع مع القصد الصالح ينفع بإذن الله لكلا الزوجين إن شذ أحدهما أو أساء ، وهذه الموعظة من الزوجة لزوجها أيضاً إذا كانت الزوجة ممن يملك أسلوب الحكيم ، والكلمة الطيبة .

هل تُضْرَب الزوجة ؟

ك – **ومن حسن المعاشرة** ، عدم الضرب ، إلا إذا اضطر إليه الزوج وذلك كما يؤدب ولده دون أن تكون هناك نية الانتقام ، ودون أن يكون ضرباً مبرحاً ، بل كما قالوا بالسواك ونحوه ، وهذا مصداقاً لقوله تعالى :﴿فاضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً﴾ وقد تقول عزيزي الزوج وهل يُضْرَبُ في هذا الزمان ؟

والجواب ؛ وهل كل النساء من ذوات الخلق الحسن اللواتي تنفع معهن الموعظة ؟ لكن لا يلجأ إلى الضرب إلا عند الحاجة ولذا قال المربي ﷺ (**ولا تضرب الوجه ولا تقبح ، ولا تهجر إلا في البيت**) رواه أبو داود ، كما أوصى بالضرب غير المبرح عملاً بالآية لمن اضطر إليه فقال : (**ولكم عليهن ألا يُوطِئْنَ فُرُشَكم أحداً تكرهونه ، فإن فَعَلْنَ ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح**) رواه مسلم ،

وقد قال علماؤنا في شرح حديث البخاري (لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها آخر اليوم) أي فإن هذا ليس من المروءة وحسن المعاشرة . قال العلماء : إنما يجوز الضرب إن أفاد ضربها في ظنه وإلا فلا ، والأولى العفو عن الضرب .

ورغم صراحة الآية بالضرب غير المبرِّح عند اللزوم فقد أوصى الرسول الكريم ﷺ بعدم الضرب ، واعتبر من يضرب ليس من خيار الناس فقال ﷺ (**لا تضربوا إماء الله ، فجاء عمر ﷺ وقال : ذَئِرَتْ** (**أي تطاولت**) **النساء على أزواجهن ، فرخص رسول الله ﷺ في ضربهن ،[أي الضرب غير المبرح] فجاءت عدت نسوة يشتكين أزواجهن، فقال عليه السلام : لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشتكين أزواجهن (من الضرب) ليس أولئك بخياركم**) رواه النسائي .

وكما نؤكد ما أكده الرسول الكريم ﷺ على أن من يضرب المرأة هو من شرار الناس وليس من خيارهم ،

نقول إن الضرب وإن كان مباحاً فهو أيضاً كالطلاق الذي هو أبغض الحلال إلى الله وقد روى الحافظ ابن سعد في طبقاته عن القاسم بن محمد بن أبي بكر ﷺ أن رسول الله ﷺ نهى عن ضرب النساء ، فقيل : يا رسول الله إنهن قد فسدن ، قال : (إضربوهن ولا يضرب إلا شراركم) . وروى أيضاً أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ قد ضربها زوجها ضرباً شديداً ، فقام رسول الله ﷺ فأنكر ذلك وقال (يظل أحدكم يضرب امرأته ضرب العبد ثم يعانقها ولا يستحيي).

ومن المناسب أن نذكر هنا أن الضرب المبرِّح والمؤلم سائد في المجتمعات الغربية التي أعطت للمرأة كل شيء وبات الرجل هو الذي يطالب بحقوقه ، وقد ذكرت الصحف وتذكر من هذا الشيء الكثير ، وتطالب بوقف عنف الزوجات وضربهن لأزواجهن .[1]

المبحث الرابع

الأحكام الشرعية المهيئة لقيام الحياة الزوجية والناظمة لنهايتها

ورود وأشواك : قدمنا آنفاً في المبحث السابق (الثالث) كثيراً من القواعد والأحكام الشرعية كآداب وأحكام تنتظم الحياة الزوجية بها ، وأسهبنا الكلام عنها ، على ضوء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

ومن النافع جداً – أيها الزوجان الكريمان – أن تكون هذه القواعد والأحكام ماثلة في الذهن وحاضرة في الواقع الحياتي للزوجين لأن من عرف ماله وما عليه جدير بألا يتجاوز حقه وألا يقصر في حق غيره .. وبالإضافة إلى رعاية هذه الحقوق ووضعها موضع التطبيق في الحياة الزوجية فإن على الزوج مهمات كبرى ومسؤليات ذات شأنٍ بَيِّنٍ في استمرار الحياة الزوجية إلى طريق الإستقامة والديمومة مع السعادة والهناء (سنذكرها في الفصل اللاحق)وباعتبارنا قدمنا هذه الأحكام

---

[1] – وقد نشرت جريدة تشرين الدمشقية تاريخ ٢٩/ ٦/ ٢٠٠٤ الخبر التالي : **السجن مع وقف التنفيذ لمؤلف كتاب يحرض على ضرب الزوجات** :أصدرت محكمة اسبانية حكماً بالسجن والغرامة على مدير مدرسة في جنوب اسبانيا لنشره كتاباً يقدم فيه نصائح للأزواج حول الطرق المفضلة لضرب زوجاتهم دون بقاء آثار على أجسادهن. ورأت المحكمة أن الكتاب بما يتضمنه من نصائح يُعَدُّ تحريضاً على العنف ضد المرأة ولكن المتهم دافع عن نفسه مؤكداً بأنه يعارض استخدام العنف ضد المرأة و إن ما ورد في كتابه يتعلق بحالة معينة تكون فيها الزوجة متمردة لا تطيع زوجها ولا تقيم وزناً لآراءه وطلباته..بل تهتم بأمور أخرى كالمنزل والعمل وتربية الأبناء **وتتركه على آخر القائمة باهتماماتها** هذا إن بقي لديها وقت للبند الأخير. ومما جاء في الكتاب أن تأديب الزوجة يجب أن يتم بعصا رفيعة خفيفة تضرب بها المرأة على اليدين والقدمين ضرباً خفيفاً حيث لا يترك ندوباً وآثاراً. وبالطبع أثار الكتاب حالة من الغضب بين صفوف النساء والمدافعين عن حقوق المرأة الذين طالبوا بمعاقبة المؤلف ومصادرة كتبه.. وبالفعل تمت المصادرة وسحبت جميع النسخ من الأسواق وأحيل للقضاء الذي حكمه بالحبس مدة /١٥/ شهراً مع وقف التنفيذ لأن القانون الأسباني يمنح المحكوم ميزة وقف التنفيذ إذا لم تكن له سوابق.وبصدور هذا الحكم احتفلت جماعات الدفاع عن حقوق المرأة لانتصار مبادئهم. لكن الكتَّاب والصحفيين كتبوا: إنه لمن المضحك صدور حكم على رجل ينصح المتزوجين بضرب زوجاتهم ضرباً خفيفاً حيث لا يترك أثراً في حين أن نسبة كبيرة من الأزواج الأسبان يمارسون هواية مصارعة الثيران في منازلهم حيث يتبادل الزوجان دور المصارع .. والثور!؟ **وعموماً فإن مسألة ضرب الزوجات منتشرة في كل المجتمعات ففي أمريكا مثلاً لا حاجة لمطالعة الكتب التي تدعو لتهذيب أساليب الضرب والتقليل من آثارها الجسدية أو النفسية ففي حالات كثيرة ليست هي الطرف المضروب دائماً بل الضارب ، وتؤدب زوجها بعصا غليظة (لا رفيعة أو خفيفة) كما جاء في كتاب صاحبنا الاسباني ونصائحه** ! وفي مجتمعاتنا الإسلامية = = بعامة والعربية بخاصة يأخذون بتعاليم القرآن ﴿ فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ﴾ لكن اختلاط المفاهيم والقيم مؤخراً خلخل هذه القاعدة لدرجة أننا كثيراً ما نجد أسباب التسريح لا تبرره، ودواعي المعروف – شبه مفروضة – على الزوج، **فهو مغلوب على أمره لسبب أو لآخر فهي إن أرادت تعاشره بمعروف وهو لا يستطيع أن يسرحها بإحسان – وهنا مركز الخلل** . فنقول لهؤلاء أصلح الله حياتكم وجنبكم من ويلات المذلات لأن الزمن لا يرحم أحداً والمجتمع لا يخفى عنه شيء مهما كانت درجة الكتمان . اهـ عن صحيفة تشرين . وانظر في المبحث التالي (الرابع) : الكلام الشرعي عن الضرب .

مفصلة فلا حاجة لإعادة ذكرها وإنما سنتناول هنا القواعد الشرعية التي تكفل حق الزوجين إذا انتهت الحياة الزوجية **بالموت أو الطلاق** ، وما هي نتائج انتهاء هذه الحياة على الزوجين والأسرة (الأولاد) .

١- **أشواك** : **أبغض الحلال** : قد يكون هناك خلل أساسي في بنيان الحياة الزوجية كعدم التكافؤ بين الزوجين في الأصل والمعشر والمال والثقافة، ومستوى التفكير أو اختلاف في السن أوفي الطباع، ويصبر كلا الزوجين على مسيرة الحياة الزوجية ثم تسير متعثرة مع الغصص والخلل فبماذا يعالج الخلل ؟؟

نقول : يعالج الخلل بالدواء الذي عرضه الحق سبحانه بقوله في سورة النساء ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ، واللاتي تخافون نشوزهن **فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن** فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً، إن الله كان علياً كبيراً، وإن خفتم شقاق بينهما **فابعثوا حكماً من أهلها وحكماً من أهله** إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً ﴾ الآية ٣٥ .

كما نظمت آيات سورة البقرة من الآية (٢٢٥) إلى الآية (٢٣٧) أحكام الطلاق والرضاع وعدة المتوفى عنها زوجها وعدة المطلقة وغير ذلك وسوف نذكرها تفصيلاً إن شاء الله .

ومن الخير لنا أن نعالج الأخطاء والخلل في الحياة الزوجية بالدواء الذي وصفه الحق سبحانه في قرآنه فذاك أفضل للزوجين وللأسرتين المتصاهرتين ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ بلى إنه يعلم .

لذلك عزيزي الزوج : **فإن أول طرق العلاج هو**: ١- **الموعظة الحسنة** كما بينا في الفصل السابق ، ولا مانع من تكرار الموعظة من وقت لآخر ، لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ، مسترشدين أيضاً ، بقول النبي ﷺ : (لا يَفْرَكْ مؤمنٌ مؤمنةً إن كره منها خلقاً رضي منها آخر) وأي إنسان لا يقع في الخطأ ؟ ! ولكن ﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾

ذكر الشيخ الطبيب أبو اليسر عابدين المفتي العام للجمهورية السورية الأسبق في كتابه (البدور في أحوال ربات الخدور) : أن رجلاً جاء يشكو خلق زوجته إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ فوقف ببابه ينتظره ؛ فسمع امرأته تستطيل عليه بلسانها وهو (أي عمر) ساكت لا يرد عليها فانصرف الرجل قائلاً : إذا كان هذا حال أمير المؤمنين فكيف حالي ؟! فخرج سيدنا عمر ﷺ فرآه مُوَلِّياً (منصرفاً) فناداه ما حاجتك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك خلق زوجتي واستطالتها عليَّ فسمعت زوجتَك كذلك فرجعت وقلت: إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي؟ فقال سيدنا عمر ﷺ:يا أخي إني احتملتها لحقوق لها علي ؛ إنها طبَّاخة لطعامي ، خبَّازة لخبزي ، غسَّالة لثيابي ، مرضعة لولدي ، ويسكن بها قلبي عن الحرام ، فأنا احتملها لأجل ذلك ، فقال الرجل : يا أمير المؤمنين وكذلك زوجتي ، قال : فاحتملها فإنها مدة يسيرة .اهـــ منه ص (٦٧) .

فانظر أخي الزوج إلى حال سيدنا عمر ﷺ ولطفه العظيم وصبره ، فهل لك أن تتأسى به وتصبر ؟ ولا تيأس من الموعظة الحسنة لها؟!فإن رأيت لديها الاستجابة وعادت إلى الخطأ فكرر الموعظة لأن المرأة تنسى كما أسلفنا،وإن لم تجد الاستجابة؛ فقد بين الحق سبحانه في الآية السابقة :

٢ – **العلاج الثاني** :**وهو الهجر في المضاجع** ، وهو اعتزال فراشها فقط دون البيتوتة خارج البيت ، فإن أجدى هذا العلاج فهو مطلوب وإلا فإنه يكرر حسب الحاجة ، وأرجو الله سبحانه ألا يحيجكما عزيزي الزوجين إليه أكثر من مرة كما أرجو ألا يحيجكما إلى :

٣ – العلاج الثالث : **وهو الضرب** وقد قدمنا عن النبي ﷺ أن الذي يضرب ليس من خيار الناس ولكن الضرب خير من الفراق والطلاق الذي هو أبغض الحلال إلى الله سبحانه وتعالى ،

وعن الضرب ذكر المفسرون في سبب نزول الآية أن سعد بن الربيع ﷺ أحد نقباء الأنصار نَشَزَتْ عليه امرأته حبيبة بنت زيد فلطمها فانطلق بها أبوها إلى رسول الله ﷺ وشكاه فقال عليه الصلاة والسلام : (لنقتَصَّنَ منه) فنزلت الآية، فقال ﷺ (أردنا أمراً وأراد الله أمراً والذي أراده الله خير) وذكروا غير ذلك وكلها تدور على القِصاص في ضرب الرجل زوجته فنزلت الآية ..

قال المفتي العام السابق للجمهورية العربية السورية الشيخ الطبيب أبو اليسر عابدين في كتابه الممتع (البدور) :

إن الله تعالى شرع لنا تأديب المرأة وإلزامها الحدود الشرعية حيث قال في نص كتابه الكريم لنساء نبيه عليه الصلاة والسلام ﴿ يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً ﴾ الأحزاب ٣٠

قال القرطبي المفسر في تفسير قوله تعالى ﴿ واضربوهن ﴾ أمر الله أن يبدأ الإنسان بالموعظة أولاً ثم بالهجران فإن لم ينجعا، فالضرب ، فإنه هو الذي يصلحها ويحملها على تَوْفِيَةِ حقه ، والضرب في هذه الآية هو ضرب الأدب غير المبرح .. فإن المقصود منه الصلاح لا غير ، فلا جرم إذا أدى الضرب إلى الهلاك وجب الضمان ..

.. قال عطاء قلت لابن عباس ما الضرب غير المبرح ؟ قال : بالسواك ونحوه .[1]

وروي أن ابن عمر ﷺ ضرب امرأته فعُذِلَ في ذلك (لاموه) فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لا يسأل الرجل فيما ضرب أهله). وإن أجدى الضرب غير المبرح ، فهو أهون الضررين ، لأن الضرر الثاني الطلاق ، والطلاق هذا ؛ ليس هو النهاية في انصرام الحياة الزوجية وانتهائها ، فإن له مراتب أيضاً ؛ فلتعلمها أخي الزوج أختي الزوجة ؟ وما الذي يحيج الزوج إلى الطلاق بعد هذه العلاجات الثلاث السابقة ؟ فهل هو إلا سوء خُلُقِ زوجته وعدم تفهمها لمعنى الحياة الزوجية ؛ وما الذي يجعله يطلقها رغم أنه سيخسر مهرها المقدم والمؤخر غالباً أو بعضه؟

الطلاق مشكلة ؟ أم هو حل لمشكلة ؟

ولتعلم أخي أن الطلاق حل لمشكلة عدم استمرار الحياة الزوجية فيجعله بعض الناس مشكلة بحد ذاته لأنهم لا يعرفون كيفية استخدامه !!

فقد جعل الشارع الحكيم بيد الزوج ثلاث طلقات يستخدمها عند اللزوم في حياته الزوجية متفرقة لا مجتمعة .

ففي حال عدم نجاح خطوات العلاج السابقة ؛ الوعظ والهجر والضرب ، فإن حل المشكلة يكون بالطلاق وذلك بعد مشاورة الناصحين من أقارب أو أصدقاء يستعين بهم في حل مشكلته ،

وهنا يكون الأمر ذا شعبتين :

الشعبة الأولى : **الاتفاق بين الزوجين على إنهاء الحياة الزوجية بالرضى والهدوء** دون اللجوء إلى المحاكم وبمشورة محامٍ أو بدونها ، وهذا يسمى :

---

[1] – انظر ما نقلناه عن الصحف في ضرب الزوجات لأزواجهن في البحث السابق بعنوان (هل تضرب الزوجة) في الهامش تحت عنوان: السجن مع وقف التنفيذ ؟

المخالعة بالتراضي فيتفق الزوجان على أن يعطي الزوج زوجته قسماً من مهرها أو كل المهر (مقدمه ومؤخره) ويخلعها من عصمته وعقد نكاحه ، وقد يتفقان في المخالعة على نفقة الحضانة وسواها حسبما يتم التشاور فيه والإتفاق عليه قبل إبرام مجلس المخالعة ومتى عرض الزوج ما اتفقا عليه على زوجته وقبلت في المجلس فقد بانت منه بـــ (طلقة بائنة) وترتب عليها آثارها وهي : **العِدَّةُ في بيت الزوجية** كما قال الله تعالى:﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ أي تنتظر حتى يأتيها الحيض ثلاث مرات أو أن تضع حملها إن كانت حاملاً . وبعد ذلك تخرج من بيت الزوجية إلى حيث شاءت . وينفذ كل منهما ما اتفقا عليه في المخالعة .

المخالعة بالتقاضي : وقد تتم المخالعة عند القاضي الشرعي بعد أن ترفع الدعوى أمامه ويعين القاضي حَكَمَيْنِ **أحدهما** من طرف الزوج **والآخر** من طر ف الزوجة من الأقارب أو الأباعد حسب الحال ، ويحكم القاضي بما اتفق عليه الحكمان بعد سماع أقوال الزوجين ومن له صلة بالموضوع ، **والخُلْعُ طلاق بائن** كما ذكرنا يحسب على الزوجة طلقة واحدة .

وفي حالتي المخالعة بالتراضي أو التقاضي إذا أرادا العودة إلى الحياة الزوجية فإن لهما ذلك ويحتاج الأمر **إلى عقد جديد يسمى فيه المهر ويؤخذ فيه رضا الزوجة** .

وقد يكون **الخلع بطلب من الزوجة** إن رأت أنها لا تستطيع أن تقوم بواجباتها الزوجية قال الله تعالى ﴿ فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ﴾ البقرة ٢٢٩

وواضح من البيان القرآني أن للزوجة أن تخالع زوجها على المال (المهر) الذي قدمه الزوج لها كله أو بعضاً منه فإن قبل كما مر آنفاً فقد وقعت طلقة واحدة بائنة أيضاً، وعليها العدة وتنفيذ ما اتفقا عليه من حضانة الأولاد إن وجدوا؛ لها أَوْ لَهُ ، ويحق لها أيضاً العود إليه إن قَبِلَ بعقد ومهر جديد ،

وقد وقع أول خُلْعٍ في الإسلام عندما جاءت امرأة ثابت بن قيس إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ؛ ثابت بن قيس ، ما أعتب عليه في خُلُقٍ ولا دِينٍ لكن لا أطيقه ، فقال رسول الله ﷺ أتردِّينَ عليه الحديقة ؟ قالت نعم . هذه رواية البخاري ، وفي رواية ابن ماجة : أن جميلة بنت سلول (امرأة ثابت بن قيس) أتت النبي ﷺ فقالت : والله ما أعيبُ على ثابتٍ في دِينٍ ولا خُلُقٍ ولكني أكرَهُ الكفرَ في الإسلام ، لا أطيقه بُغْضَاً ، فقال لها النبي ﷺ أتردِّينَ عليه الحديقة ؟ قالت نعم ، فأمره رسول الله ﷺ أن يأخذ منها حديقته ولا يزداد .

قال المفسر القرطبي بعد أن ساق الروايتين: فيقال : إنها كانت تُبْغِضُهُ أشد البغض وكان يحبُّها أشد الحب ، فَفَرَّقَ رسول الله ﷺ بينهما بطريق الخلع فكان أول خلع في الإسلام ، ثم ساق القرطبي رواية أخرى عن ابن عباس غير الروايتين المذكورتين قال: روى عكرمة عن ابن عباس فقال : أول خُلْعٍ في الإسلام ؛ أختُ عبد الله بن أُبَيْ أتت النبي ﷺ فقالت يا رسول الله ؛ لا يجتمع رأسي ورأسه أبداً إني رفعت جانب الخِباء (الخيمة) فرأيته أقبل في عِدَّةٍ (من الرجال) إذ هو أَشدَّهُم سواداً وأقصرهم قامة وأقبحهم وجهاً ؛ فقال عليه السلام أتردين عليه حديقته ؟ قالت نعم وإن شاء زدته ، ففرق بينهما ، وهذا الحديث أصل في الخلع وعليه جمهور الفقهاء .اهـــ من القرطبي .

أقول : وكان مهرها (حديقةً نَحَلَها إيّاها ثابت) وانظر إلى الكُرْهِ كيف يُرِي الإنسانَ الآخرَ قبيحاً كريهاً ، وقد لا يكون كذلك .

أما الشعبة الثانية : **فهي طلاق من طرف الزوج** ، والأفضل له هنا بعد استنفاد كافة فرص العلاج الثلاث التي ذكرناها حسبما أفادها الآية الكريمة أن يطلقها مرة واحدة بلفظ (أنت طالق) ومن السنة أن لا تكون حائضاً ولا حاملاً ولا معتدة

من طلاق سابق حتى لا تطول مدة العدة عليها . فإن فعل (وطلقها وهي حامل أو حائض) فقد خالف السنة ووقع الطلاق ، فإن قال هذه الكلمة (أنت طالق) أو(سَرَّحْتُكِ) فقد وقع الطلاق مرة واحدة وعليها العدة في بيت زوجها ولكن الأمر هنا يختلف عن المخالعة فلهاأن تظهر أمامه بكل زينتها وأن تُغْرِيه بزينتها ليعود عن طلاقها ويراجع نفسه فيما قال ويكون لها توبة وتأديباً ..

فإذا رأى الزوج بعد هذه الكلمة (الطلاق) أن الطلاق آلمها أو آلمه هو ، وعمل في تحسين سلوكها وأخلاقها نحوه ، فراجع نفسه وقال لها أو أمام أحد أصدقائه (راجعت زوجتي إلى عصمتي وعقد نكاحي) أو عاشرها معاشرة الأزواج ، ولو بلمس بشهوةٍ أو بتقبيلٍ أو جماعٍ ؛ فقد حَلَّتْ له وسمح الشرع بإرجاعها إليه دون عقد أو مهر إذا كان هذا ضمن مدة العدة الشرعية وتحسب لهما (طلقة واحدة) .

ويلحق بهذا فيما إذا وكل شخصاً آخر بتطليقها طلاقاً رجعياً (أي يمكن له أن يراجعها فيه) فإن له ذلك ، سواء كان هذا الشخص (محامياً أو غيرَ محام) .

هل للزوجة أن تطلق نفسها ؟ : كما أن للزوجة هذا الحق فيما إذا وكلها بطلاق نفسها بعد عقد الزواج ، أو ضمن عقد الزواج إذا اشترطت عليه أن يكون تفويض الطلاق إليها فيقول الوكيل : طلقت فلانة زوجة موكلي طلقة واحدة ،أو تقول الزوجة الموكَّلة طلقتُ نفسي من زوجي طلقة واحدة ، وفي هاتين الحالتين يحق للزوج أيضاً مراجعتها قولاً أو فعلاً كما ذكرنا أيضاً . ويثبت حق المراجعة للزوج في الطلاق الأول والثاني فقط ، أما في الثالث فلا وكذلك إذا كان الطلاق بائناً .

وفي حال انتهاء العدة في الأول والثاني دون المراجعة من الزوج فقد أصبح الطلاق بائناً بينونة صغرى ولا يحق لزوجها الرجوع إليها إلا بعقد ومهر جديد ورضا الزوجة بالرجوع إليه ، كأنه يتزوجها للمرة الأولى .

فماذا بقي للزوج من الطلقات ؟

بقي له طلقتان ؛ بعد أن أوقع الزوج الطلاق مرة واحدة ؛ فإذا وجد بعد مراجعة الزوجة وعودتها إلى الحياة أنها عادت إلى ما كانت عليه من سوء الأخلاق ، ورأى التأديب بطلقة أخرى ، ففعل ؛ فإنه يبقى له طلقة واحدة قال الله تعالى : ﴿ الطلاق مرتان ، فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان .. فإن طلقها ﴾ الطلقة الثالثة ﴿ فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره ﴾ فالمرتان الأولى والثانية يحق له إرجاعها إن كان الطلاق رجعياً (كما علمت) أو بعقد إن لم يكن رجعياً ، أي بغير لفظ طلقتك أو سرحتك .

أما الثالثة وهي الأخيرة فإنه إن طلَّقها ولو بلفظ (طلاق أو سراح) فهذا الطلاق الأخير (الثالث) يسمى (البينونة الكبرى) فإنها لا تحل له حتى تنتهي عدتها منه ، ويتزوجها رجل آخر غيره، ثم إن طلقها هذا الزوج الآخر أو مات عنها وانتهت عدتها، وأرادت أن تعود إلى زوجها الأول أو أراد هو إعادتها فإنها تحل له من جديد بعقد جديد ومهر جديد ورضاه إن أرادها زوجة ..

ملاحظة مهمة : يثبت المهر المؤخر للمرأة بالطلاق الأول ويصبح ديناً مستحقاً على الزوج والمقدم غير المقبوض أيضاً.

وعلى الزوجة في كل الأحوال العدة الشرعية كما قال الله تعالى في سورة البقرة مفصلاً أحكام الطلاق ﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ، ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن (من الحمل) إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحاً ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم ، الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن

خفتم إلا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فألئك هم الظالمون ، فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون ﴾ (٢٢٨ - ٢٣٠) البقرة ،

وقال تعالى في سورة الطلاق : ﴿ يأيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ، فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ﴾ الآية ٢ .

بعض ما قيل وكتب عن الطلاق :

- اطلعت على دراسة قامت بها مجلة (الضياء)[1] عن ظاهرة الطلاق في مجتمع الإمارات وكان من نتيجة هذه الدراسة ما يلي : ١٠% من المطلقات دون سن العشرين / و٤٤% سنهنَّ من ٢٠-٢٩ سنة / ٣٠% من سن ٣٠إلى ٣٩ سنة / و٩%من ٤٠ إلى ٤٩ سنة . (يلاحظ أن نسبة الطلاق أكثرها في سن الشباب) .

كما أظهرت نتيجة الاستطلاع الذي أجرته المجلة على فئة عشوائية أن ٦٠% من الأسر التي تم فيها الطلاق تقيم في مسكن مستقل و١٠% مع أهل الزوج ، (لاحظ بعدهما عن الوالدين ، واستقلالهما في مسكن منفصل ، أيضاً)

وقد استطلعت بعض آراء العلماء والباحثين عن سبب ازدياد هذه الظاهرة فكانت الإجابات تلتقي في أن الطلاق جعله الإسلام علاجاً لعدم إمكانية استمرار الحياة الزوجية ، ولأن ارتفاع نسبة الطلاق دليل على سوء استخدام الحق الشرعي كما أن عدم تفهم الزوجين لبعضهما البعض وعدم استيعاب أحدهما للآخر يجر إلى هذه الحال السيئة .

- كما نشرت المجلة مقالاً بعنوان (**الطلاق بين الحكم الشرعي والظلم البشري**) للأخ الصديق الدكتور خلف محمد المنبجي حلل فيه مراحل الطلاق كعلاج لمشكلة عدم استمرار الحياة الزوجية كما بيناه في بحثنا الآنف الذكر وختمه بمايلي: [.. ولنعلم جميعاً أن الطلاق عندما جعل بيد الرجل ، لأن الرجل هو المكلف بالمهر والنفقة وهو المسؤول مادياً عن المنزل ، فناسب بذلك أن يكون الطلاق بيده ، لأن الغُرْم بالغنم وذلك لما يترتب على الطلاق من أمور مادية كثيرة يتحملها الرجل .

---

[1] - تصدرها دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دبي ، ونشرتها في العدد ٦٣ ربيع الأول ١٤٢١ حزيران٢٠٠٠ .

ولا ننسى أيضاً أن الطلاق قد يتم بإرادة الزوجين معاً وباتفاقهما – وهذا لا إشكال فيه – وقد يتم بإرادة الزوج ، والزوجة غير راغبة في الطلاق وهنا قضى الشارع الحكيم بصحة الطلاق ، ولكن يصير المهر كله للزوجة، ولا يعود للزوج شيء منه ويضاف عليه (متعة) زيادة على المهر وجبراً لخاطر المرأة وحسن فراق من الرجل وتستمر النفقة عليها حتى تنتهي العدة .

وقد يتم الطلاق بإرادة من الزوجة دون الزوج ، وينظر القاضي في الأسباب فإن كانت موجبات هذا الطلب ظلماً أو نشوزاً من الزوج وتعذر الإصلاح فعلى القاضي أن يحقق رغبتها في الطلاق دون أن تخسر شيئاً من مهرها، وكامل حقوقها الشرعية وهذا يسمى (الطلاق للضرر)

وأما إن كان الموجب لرغبتها في الطلاق أمراً مزاجياً أو كراهية نفسية طارئة ، أي ليس ناتجاً عن أي تقصير من حقوقها . فهنا على القاضي أن يقنع الزوج بذلك ، فإذا وافق بدون شيء فله ذلك ، وإذا أراد أن يسترد شيئاً مما دفع من المهر فله ذلك ومن حقه , وهذا يسمى في الفقه الإسلامي (بالخلع) .

ويمكن أن نشير إلى نقطة تتعلق بالطلاق وهي أن المرأة تستطيع أن تجعل الطلاق بيدها ومن حقها وذلك إذا اشترطته في عقد الزواج ، فإذا وافق الزوج على هذا الشرط استوت معه في هذا الحق .

تلك أهم مبادىء الطلاق وخطواته في تشريع الإسلام ، وكما هو واضح لكل منصف نرى أن الإسلام ضيَّق مجاري الطلاق، وهو لم يشرعه إلا في حال الضرورة علاجاً لأمر متفاقم وحلاً لمشكلة مستعصية ، وكما يقولون آخر الدواء الكي .

أما أن البشر يظلم بعضهم بعضاً ، حيث أن بعض الرجال قد لا يوقع الطلاق دائماً وهو معذور أو مضطر ، بل قد يفعل ذلك نكاية بالزوجة ورغبة في الإضرار بها،وكثيراً ممن لا يخافون الله يطلقون زوجاتهم لمجرد الرغبة في الاستمتاع بامرأة جديدة وقد تكون عنده من الأولى أولاد فيحصل الضياع ..نعم هذا قد يحدث ولكن لنعلم أن كل نظام قد يساء استعماله ، وكل صاحب سلطة إذا كان سيء الأخلاق ضعيف الوازع الديني قد يتجاوز حدوده..فهذا سوء استعمال لهذا الحق من قبل بعض الرجال، والعيب ليس في تشريع هذا النظام (أعني الطلاق) بل العيب في هؤلاء الرجال الذين أساؤوا استعمال هذه القوامة.

ثم هل لو كان الطلاق بيد النساء ألا يكون الأمر كذلك ؟ بل قد يكون الأمر أشد حيث أن المرأة تثار وتغضب بسرعة . لذا لا بد من تطبيق حقيقي لأحكام الطلاق في الإسلام ، حيث لو طبقت أحكامه كما شرع الله ، لما وصل الأمر إلى هذا الواقع المرير الذي وصلت فيه نسبة الطلاق لدرجة مذهلة .

ونحن بدورنا نناشد الرجال أن يتقوا الله في النساء ، وأن يحسنوا إليهن كما أمر الله وأن يعاشروهن بالمعروف ، وأن يسلكوا منهج الإسلام إذا كان لابد من الفراق ، ونناشد المصلحين من خيار هذه الأمة أن يعينوا على تماسك الأسر ورأب الصدع وإصلاح ذات البين أو تحت أي شعار أو جمعية فإن ذلك من صميم نظام الإسلام .

وأخيراً: الطلاق كَحَلٍّ لمشكلة و إنهاء أزمة خير من أن يعيش الزوجان في حالة تعيسة كل يكره الآخر، أو يخون صاحبه][1]

- كما نشرت المجلة في نفس العدد وبمناسبة نشرها بحثاً عن ملف الطلاق قصيدة مفيدة ومعبِّرة عن الطلاق للشاعر الحمصي : د. غازي مختار طليمات بعنوان : (**أبغض الحلال**)[2]

امضغ لسانك قبل النطق بالقسَمِ وابلعه قبل ابتلاع الشوكِ والنَّدمِ

---

[1] – مجلة الضياء الإماراتية عدد ٦٣ ص٥٩

[2] – المرجع السابق ص٥٩ .

فالخيـــل إن رَمَحَـــت رَعـــنَـــاء ، أو جـــمـــحَتْ ... لم يَثْنِهـــا غـــير ليِّ الهَـــامِ باللُّـــجُمِ

ومـــا الطـــلاق الـــذي تنـــوي ســـوى لُغْـــم ... فكيـــف يـــأْمَنُ مـــن يـــسعى إلى لُغُـــمِ ؟

وكيـــف تُفْـــضِي بقـــصر شِـــدْتَ جنَّتَـــهُ ... إلى خرائـــبَ مِـــنْ خَـــاوٍ ، ومنهـــدم ؟

وكيـــف تمـــشي ، وشـــيطان الطـــلاق طـــوى ... عينيـــك خلـــف حجـــابٍ حالـــك الظلـــم ؟

فقـــدِّر الخَطْـــوَ قبـــل الـــسير في زَلَـــقٍ ... يلقيـــك إن تَخْـــطُ في مـــستنقع وَخِـــم

أفراخُـــك الزغْـــبُ مـــا زالـــتْ تَـــرفُّ علـــى ... أَدْواحـــك الخُـــضْرِ ، تـــشدو أعـــذب الـــنغم

أَصِـــخْ إلى شـــدوها الفطـــري مُطَّرِحـــاً ... صـــدى النعيـــب مـــن الغربـــان والـــرخم

هَـــمُّ الغرابيـــبِ تـــركُ الـــشمل مفتـــرقاً ... وقطـــع مـــا يـــصلُ الـــرحمن مـــن رحـــم

والـــبر بـــالأم ظـــل ، لـــيس يحـــسره ... بـــر بـــزوج تجافيهـــا ، ووصْـــلُ حَـــمِ

أَبَعْـــدَ مـــا ذقتمـــا في ظـــل ربكـــما ... عـــسيلة الحـــب تـــسقيها لظـــى الـــسقم؟

أم بعـــد مـــا وهبـــت دنيـــاك جنَّتُـــها ... أَيْكـــاً ، وطـــيراً ، وألـــواناً مـــن الـــنعم ..

ترمـــي بهـــا !؟ وهـــي بَعْـــضٌ منـــك واعجبـــاً ... مـــن سُـــخْفِ منهـــزِمٍ في زِيِّ منـــتقم !

وأيُّ رايـــةِ نَـــصْرٍ أنـــت ترفـــع إن ... يَرْفَـــعْ صغـــارُك رايـــاتٍ مـــن الألم ؟

اليـــتم أهـــون مـــن راع سهـــا ولهـــا ... عـــن القطيـــع ، فعـــاث الـــذئب بـــالغنم

قـــال الطـــلاق حـــلال قلـــت : أبغـــض مـــا ... أحـــل ربـــك في تـــشريعه العَمِـــمِ

أحلـــه الله للحمقـــى ومـــن خفـــروا ... بالـــشؤم واللـــؤم ظلمـــاً أشـــرف الـــذمَم

أرادهـــا ســـكناً للـــروح ، لا فننـــاً ... تحـــط إن شـــئت ، أو تنـــأى مـــن الـــسأم

لكنمـــا الغـــصن قـــد يجفـــو ، ويمنعـــه ... مـــا فيـــه مـــن برعـــم بالقلـــب ملتحـــم

وقد اطلعت أثناء مراجعة الطباعة على قصيدة بعنوان (دموع مطلقة) فأحببت أن أنقُل منها معظم أبياتها [1] قال الشاعر :

بالحـــب تـــبنى الـــدور حـــتى أنهـــا ... بالحـــب ترقـــى للعـــلاء محلقـــة

والبيت في ظـــل الشريعـــة والـــهـــدى ... سَـــكَنٌ بـــه ســـبل الرضـــا متدفقـــة

ذو دفـــتين ؛ مـــودة وتـــراحم ... بهمـــا يجـــدِّف حـــين يطلـــق زورقـــه

ولقـــد تخلـــى عنـــهما زوج رأى ... أن يقتـــل الحلـــم الجميـــل ويخنقـــة

زوج بـــلا خُلُـــقٍ يقـــود زمامـــه ... وبـــلا ضـــمير وازع ، مـــا أحمقـــة

جعـــل الحيـــاة لظـــى يـــؤجج دائمـــاً ... في البيـــت حـــتى بالمـــشاكل أحرقـــة

قـــد عـــشت صـــابرة وراضـــية ... بما قـــسم الإلـــه مـــن العطـــاء وحققـــه

فـــإذا قـــسا زوجـــي رآني نـــسمة ... تحنـــو عليـــه رقيقـــة مترفقـــة

---

(1) – من قصيدة (دموع مطلقة) للشاعر ، عبد المنعم عبد الله حسن / مصر المنشورة في مجلة الوعي الإسلامي العدد (٤٨٠) شعبان ١٤٢٦هـ الموافق أيلول ٢٠٠٥ .

وإذا مضين مشاعرٌ أسْخُو بها ... وأكون دوماً بالمشاعر مُغْدِقة

أرعاه في صدق وأرعى حقه ... وأود أن أحيا الحياة موفقة

لكن أبى إلا الشقاقَ وفُرْقَةً ... أوراقنا أضحت هناك مفرقة

بيني وبينك موثق .. قد باعه ... وبكل معنى للتجافي طوَّقة

ومضى بنا نحو النهاية مسرعاً ... لنرى الرباط على شفير المشنقة

هدم البناء بلفظة مبغوضة ... وأَفَقْتُ .. ألقاني غَدوْتُ مطلَّقة

ووجدتني مكسورة مجروحة ... ووجدتني فوق الطريق ممزقة

وتلفتت عيناي أبصر ما مضى ... فإذا عيوني في الوراء محدقة

وبداخلي كان السؤال مدوياً ... لأرى الإجابة بالتساؤل ملصقة

أبلفظة صرت الغريبة بغتة ؟! ... بل إني قد صرت حقاً مُطْلَقَة

لكن وجدت مدامعي دفاقة ... وبها تسيل مشاعري مترقرقة

❁ ❁ ❁

ليت المودة والتراحم بيننا ... يا قومنا .. إن العهود موثقة

أوفوا بها حتى يكون سلوكنا ... أصداء حق في الحياة مصدقة

لنكون في كل الأمور ضمائراً ... تحيا بآيات الهدى متخلقة .

من أحكام العدة :

فإذا أوقع الطلاق بأي صورة كانت – مما ذكرناه آنفاً – فعلى الزوجة أن تعتدَّ وعدة الطلاق هنا ، بقاء الزوجة في بيت الزوجية سواء كان الطلاق

١- **رجعياً** (أي يحق للزوج فيه مراجعة الزوجة وإعادتها إلى عقد نكاحه بالقول والفعل كما بينا)

٢- **أو بائناً** (بينونة صغرى)، أي لا يحل له إعادتها إلا بعقد ومهر جديد ورضاها .

٣- **أو كان الطلاق بائناً (بينونة كبرى)** وهو **الثالث** المشار إليه بقوله تعالى (فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره) فالعدة في هذه الأحوال الثلاثة واجبة على المرأة .

ومضمون العدة في الطلاق الرجعي سواء كان الطلاق الأول أو الثاني فقط ؛ المكوث في البيت وعدم الخروج منه حتى تنتهي العدة مع جواز زينتها وظهورها أمامه. وهي كما يلي :

١- **إن كانت من ذوات الأقراء (الحيض)** فعدتها حتى تحيض ثلاث حيضات وتطهر من الثالثة فإذا طهرت منها فقد انتهت عدتها ولا يحل له إعادتها إلا بعقد ومهر جديد ورضاها . (وعند الشافعية ثلاثة أطهار) .

٢- **إن كانت صغيرة لم تحض بعد أو كبيرة بلغت سن الإياس** ؛ فحتى تمضي ثلاثة أشهر قمرية فتنتهي عدتها ، ولا يحل له إعادتها إلا بعقد ومهر جديد ورضاها قال الله تعالى : (واللائي لم يحضن وأُلات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن)

٣- **أما في الطلاق البائن (بينونة صغرى) وهو مادون الثالث** (وهو ما يكون بغير لفظ الطلاق) كلفظ الحرام أو الكنايات الأخرى كأن قال لها أنت لا تلزميني مع نية الطلاق أو(اذهبي إلى أهلك) مع نية الطلاق فإن عدتها أيضاً كعدة المطلقة رجعياً إلا أنها لا تتزين،وتحتجب من زوجها وليس له معاشرتها،ولا تخرج من البيت حتى تنتهي العدة ولها النفقة على زوجها .

٤- **أما في الطلاق البائن بينونة كبرى وهو الثالث** فكذلك عدتها ولا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره بعده كما بينا ذلك .

٥- **ولفظ (الحرام) آكد من لفظ الطلاق** عند بعض الأئمة الفقهاء ، فاحذر أخي من ذلك واحذر من الذين يكثرون الحلف به .

خلاصة : هذا أخي المؤمن ما يتعلق بالطلاق , وأقول لك : أن هذا حل لمشكلة عدم إمكان استمرار الحياة الزوجية ، وعلى هذا الترتيب جعله الشارع الحكيم ، **فإياك أن تجعله يميناً تؤكد فيه فعل أمر أو تركه ، أو يجري على لسانك كما يجريه الفساق من الناس ، فقد قالوا لمن يكثر الحلف بالطلاق (الطلاق يمين الفُسَّاق) وعلى كل حال إن جرى معك شيء من هذه الأمور فاسأل أهل العلم الذين تثق بهم أو دوائر الإفتاء في بلدك ليعطوك الفتوى والحل المناسب ..**

بقي أن أقول لك أن هناك ألفاظاً أخرى ذكرها القرآن بها يَنْحَلُّ عقد الزواج كالطلاق ولكن آثارها أصعب منه وهي الظهار والإيلاء .

أما الظهار ؛ فقد كان العرب يستعملونه كثيراً وجاء القرآن لينهى عنه أشد النهي وجعل كفارة من يظاهرها الزوج إعتاق رقبة ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، فإن لم يستطع فيطعم ستين مسكيناً ، وقد أنزل الله سبحانه في هذا الأمر قرآناً يتلى في أول سورة المجادلة كما ورد في كتب السنن ؛ أن أوس بن الصامت ظَاهَرَ من زوجته خولة بنت مالك بن ثعلبة (أي قال لها أنت علي كظهر أمي) وهذه الكلمة تعني تحريمها عليه ، فجاءت زوجته خولة إلى رسول الله ﷺ تشكو فعل زوجها فقالت يا رسول الله إنَّ أوسَ بن الصامت تزوجني وأنا شابةٌ مرغوبٌ فيَّ فلما خَلا سني (كبرت) ونَثَرْتُ بطني (ولدت له أولاداً) جعلني كأُمِّه عنده ، فقال لها رسول الله : ما عندي من أمرك شيء (ليس لديه وحي من الله سبحانه في أمر الظهار) فقالت : اللهم إني أشكو إليك، إنَّ لي صِبْيَةً صغاراً ؛ إن ضمَّهم إليه ضاعوا ، وإن ضَمَمْتُهم إليَّ جاعوا ، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات قد جاءت خولة بنت ثعلبة تشكو إلى رسول الله ﷺ وأنا في كِسْر البيت (زاويته) يخفى عليَّ بعض كلامها فأنزل الله عز وجل قوله (أول سورة المجادلة) :﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ، الذين يظاهرون من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً وإن الله لعفو غفور ، والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم ﴾ فقال النبي ﷺ لخولة ، ليعتق رقبة، قالت :لا يجد ، فقال :فيصوم شهرين متتابعين ، قالت يا رسول الله إنه شيخ كبير ما به من صيام (لا يستطيع) قال رسول الله : فليطعم ستين مسكيناً ، قالت ما عنده شيء يتصدق به ، قال ﷺ سأعينه بعَرْقٍ من تمر (عنقود تمر) قالت خولة :وأنا أعينه بعرق آخر ! قال المصطفى ﷺ أحسنت فأطعمي ستين مسكيناً ، وارجعي إلى ابن عمك .

وواضح من الآيات الكريمة والتفسير النبوي لها أَنَّ مَنْ **ظَاهَرَ امرأتَهُ** ؛ بأن قال لها (أنت عليَّ كظهر أمي) لا يجوز له قُرْبُها حتى يكفِّرَ بإعتاق رقبة أو صيام شهرين متتابعين فإن لم يستطع أطعم ستين مسكيناً (غداءً وعشاءً) .

وقد ألحق الفقهاء بهذا القول من قال لزوجته : أنت عليَّ كظهرِ أختي أو ابنتي أو إحدى المحارم حرمة مؤبدة فعليه الكفارة المذكورة أعلاه .

أما لو قال لها أنت كأمي أو كأختي ؟ فهناك تفصيل يرجع فيه إلى نيته هل قصد الكرامة لها كأمه (فهو على نيته)؟ أو قصد التحريم ؟ فيقع الطلاق البائن ، أَوْ لا قَصْدَ له فيقع الظهار ؟ على كل حال ؛

إيَّاكَ أخي المؤمن أن تتلفظ بهذه الألفاظ ، واحذر أن تقول لزوجتك يا أختي أو يابنتي ولو على سبيل المزاح حتى لا تقترب من الظهار أو الطلاق ، واسأل عنها إن وقعت منك أهل العلم الموثوقين أو دائرة الإفتاء في بلدك .

وأما الإيلاء : فهو الحَلْفُ بعدم قربان الزوجة مدة معينة قد تصل إلى أربعة أشهر ، والأصل في هذا قوله تعالى :﴿ للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاؤوا فإن الله غفور رحيم ، وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم ﴾٢٢٧ البقرة .

والإيلاءُ الحَلْفُ وكذا الأَلِيَّة، قال ابن عباس كان إيلاءُ الجاهلية السَّنَة والسنتين وأكثر من ذلك ، يقصدون بذلك إيذاء المرأة عند المساءة فوقَّت الحقُّ لهم أربعة أشهر فمن آلى (حلف) ألا يقرب زوجته بأقل من ذلك فليس بإيلاء حكمي (تفسير القرطبي).

قال علماؤنا : (وكان الإيلاء طلاقاً في الجاهلية فجعله الشرع طلاقاً معلقاً بترك وطء (جماع) الزوجة مدة مخصوصة كأن قال الزوج : (إن لم أقربك أربعة أشهر فأنت طالق بائن) ويتحقق الإيلاء بقوله : (والله لا أقربك أو لا أطؤك وأمثالها) فإن مضت أربع أشهر و لم يقربها (بالجماع) وقعت عليه طلقةٌ بائنةٌ ، وإن قرِبَها قبل مدة الأربعة أشهر (وهو الفيء يعني الرجوع إلى الزوجة) المذكور بالآية ، **فعلاً** (بأن وطئها) ، أو **قولاً**(إن عجز عن الفعل) بأن قال لها :(فِئْتُ إليك أو رجعت إليك أو راجعتك أو أَبْطَلْتُ يميني) فيكون رجوعاً عن يمينه وانحلت يمينه وعليه كفارة اليمين (كما في كتاب تحفة الفقهاء) للسمرقندي .

وعلى كل حال أخي العاقل كما بينت لك سابقاً فإن هذه الأَيْمانُ ليست لمن يريد عيشة سعيدة مع زوجته أو يريد طلاقها ، واسأل أهل العلم عنها . إن وقعت فيها ليخلِّصوك من ورطتك .

٢ – أشواك : مصيبة الموت : وإن وقعت مصيبة الموت سواء في الزوج أو في الزوجة : فإن عقد الزوجية ينتهي عند غالب العلماء وتترتب عليه آثارها ؛ فإن مات الزوجُ أولاً فعلى الزوجة **العدة الشرعية ، والإحداد ، ولها الميراث** قال الله تعالى : ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير ﴾ البقرة ٢٣٥

والعدة الشرعية للوفاة :

١- إن كانت المتوفى عنها زوجها **حامل** فعِدَّتُها تنتهي بوضع الحمل قال الله تعالى ﴿ وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ﴾ الآية (٥)الطلاق

٢- **إن كانت حائلاً غير حامل** فعدتها كما في آية البقرة (أربعة أشهر وعشرة أيام من ساعة وفاة الزوج) .

والإحداد :

١- **ترك الزينة وخلع كل ما يتزين به** من ثياب وحلي ، ولبس الثياب العادية لأن الزينة للزوج وقد انتقل إلى رحمة الله وعفوه .

٢- **عدم الخروج من البيت إلا لحاجة ضرورية** قال الله تعالى في سورة الطلاق ﴿ يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن

يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ﴾ الطلاق (١) . والفاحشة المبينة هي الزنا كما قال أكثر المفسرين .

وقال الإمام الشافعي وغيره : هي البذاء في اللسان والاستطالة بها على من هو ساكن معها في البيت وهو سوء الخلق (تفسير حدائق الروح والريحان) .

٣- **عدم إجراء عقد النكاح ، أو الزواج فعلاً بالدخول، وعدم التصريح بالخطبة** ؛ كما بينت آية البقرة المذكورة أعلاه ، أما التعريض بالخطبة ؛ كأن يقول إن فلاناً يرغب بزوجة صالحة أو لعل الله يزوجك برجل صالح ، فلا بأس به .

وما سوى هذه الثلاثة من أمور الحياة تبقى على حالها فما كان حلالاً قبل العدة يبقى حلالاً فيها ، وما كان قبل العدة حراماً يبقى حراماً فيها .

والعدة في الحقيقة صيانة ووقاية لعرض المرأة وسمعتها وسمعة الزوج أيضاً بين الناس ، تحافظ عليه المرأة المسلمة التي قدر الله عليها فراق زوجها ، فتربُّصُها هذه المدة في منزل الزوجية ، يقصر ألسنة السوء ، ويصون دينها وعفتها حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً بزواجها من آخر ، أو عودها إلى أهلها أو بقائها مع أولادها .كما أنه براءة لرحمها ، وبيان عما إذا كان هناك حمل أو لا .

وأما الميراث فإن الزوجة هنا ترث زوجها المتوفى عنها فلها (ربع) مال الزوج إن لم يكن للزوج أولاد منها أو من غيرها ولها (الثُّمن) إن كان له ولد منها أو من غيرها قال الله تعالى ﴿ ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين ﴾ النساء ١٢

ملاحظة هامة : ومن الدَّيْنِ الذي على الزوج **مهرُ الزوجة المقَّدم** إن كان غير مقبوض و لم يؤدها إياه في حال حياته، فإن كانت قبضته واشترت به أشياء جهازية وضعتها في البيت فهي أحق بها وليست للورثة، هذا إذا لم يكن قد وهبتها لزوجها في حياته .

كما أن لها المهر المؤجل لأنها تستحقه بالطلاق أو الوفاة مهما بلغ فليعلم هذا فإنه مما تجري فيه الخصومة ونُسْأَلُ **عنه** .

وإن ماتت الزوجة أولاً فإن الزوج يرثها كما بينت الآية أعلاه ويستحق (نصف) مالها إن لم يكن لها ولد منه أو من غيره ، ومالُها يشمل كلما كانت تملكه في حياتها ؛ومنه المهر المعجل والمؤجل وأثاث البيت الذي اشترته ، وكذلك إن كان لها تجارة أو عقار أو أموال منقولة أو غير ذلك ، وإن كان لها أولاد فإنه يستحق (الربع) من مالها والباقي يوزع لأولادها ووالديها إن كانوا ، فإن لم يكن لها أولاد فلأبويها إن وجدا ، فإن مات الأب فلعصوبتها (أقرباؤها الذكور من إخوة أو أعمام).

حسب قواعد الميراث الشرعية . قال الله تعالى :{وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ...} (١٢) سورة النساء

متفرقات :

١- **هل للزوج أن يغسل زوجته بعد الموت** ؟ من العلماء من أجاز ذلك استدلالاً بما فعل سيدنا علي عندما توفيت السيدة فاطمة رضي الله عنها ، ومنهم من قال هذا خاص به ،ولا يحق له تغسيلها لأن الزوجية قد انتهت بينهما.

٢- **حضانة الأولاد والوصاية عليهم** : تثبت للزوجة بعد وفاة الزوج إن لم يعترض الأولياء على سلوك الزوجة أو أخلاقها لدى القاضي الشرعي ، كما تثبت الحضانة ويثبت لها بعد الخلع إن اتفقا في صيغة المخالعة على ذلك وبعد الطلاق أيضاً ، فيما إذا لم تتزوج الزوجة في جميع الأحوال .

٣- **هل هناك لباس كالسواد مثلاً للمعتدة** ؟ ليس للمعتدة بالوفاة أن تلبس السواد بل تبقى في ثيابها العادية التي تلبسها في البيت **غير ثياب الزينة** حتى تنقضي **العدة** . وما تفعله بعض نساء المسلمين من لبس الأسود أو الفضي الخاص بالحداد فإن ذلك غير مشروع أصلاً فليتنبه لهذا .

٤- **إن كانت الزوجة موظفة** فعليها طلب إجازة مدة العدة والبقاء في البيت، ولو إجازة بغير راتب أو بنصف راتب إن كان لديها ما تنفقه على نفسها وأولادها،وفي حال عدم السماح لها بالإجازة أو ليس عندها ما تنفقه فإنها تذهب لوظيفتها دون زينة (كما لا يجوز لها إن كانت غير معتدة أن تتزين) ودون مخالطة لأحدٍ إلا لضرورة ، حتى تنقضي العدة .
وكذلك إن كان لها أرض أو بستان وليس هناك من يقوم على شؤونه من سقيٍ أو حصاد أو غيره ، فلها أن تذهب للنظر في شؤونه ثم تعود للبيتوتة في بيتها مساءً .

3 خاتمة الأحزان :

عزيزيَّ الزوجين : ما كنت أريد أن أعكر عليكما صفو حياتكما الهادىء بما ذكرته من أحكام قد تحتاجان إليها في **مصيبة الموت** وأرجو ألا تحتاجا إليها في **أشواك الطلاق** ولكن لابد من ذكر هذا حتى يكون الصواب واضحاً فيتبع ، والخطأ معلوماً فيجتنب .

والعلاج في متناول اليد فيستعمل عند اللزوم ، وما ذكرته لكما في هذا الفصل هو باختصار شديد ليكون كخطوط رئيسية في واقع الحياة الأسروية يُعلم ويُفهم ويُعمل به إن مست الحاجة إليه .

وفي كل حال يقول الله سبحانه عقب آية الطلاق التي في البقرة (٢٣٧) ﴿ وأن تعفو أقرب للتقوى ، ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير﴾ فهل إنْ طلَّقْتَها - عزيزي الزوج - سوف تجعلها حديثك في السهرات ؟ وفي لقاء أصحابك مبيناً سوءَ أخلاقها وقُبْحَ فعالها فيما تظن ؟ وكذلك هل سيلوك سيرتها والدتك وأخواتك ؟ وهل إن تخالفتما تفعل هي كذلك وتجعلك مضغة الأفواه ؟ وعلكة تتسلى بها بين رفيقاتها وأخواتها ؟

لا أظن إن كنتما مؤمنين عاقلين تفعلا ذلك بعد أن قرأتما وفهمتما قول الله سبحانه ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير ﴾ . وقد سمعتُ حكاية من أهل العلم ؛ عن رجل صالح جرى خلاف بينه وبين زوجته فسأله أصحابُه عما يجري فقال :لا يجوز للمسلم أن يتحدَّثَ عما يجري بينه وبين زوجته فهذا أمر لا يجوز إفشاؤه .. وبعد مدة طلقَّهَا ، فسألوه كيف حدث هذا ؟ وما هو سبب الطلاق ؟ فقال: إنَّ هذه المرأةَ أصبحت امرأةً أجنبية عني ولا يحل لي أن أغتابها أو أفشي سرها !!

فانظر أخي العاقل إلى هذه الكلمات الرصينة واعجب من أهل زماننا كيف ينشرون الفضائح لأسرهم وجيرانهم ! ومن حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه وأرجو الله سبحانه أن يوفقنا جميعاً للعمل بقوله ﷺ (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) .

وقبل أن انتقل بكما ـــ عزيزي الزوجين ـــ إلى البحث التالي ، أحب أن تقرأا هذا الخبر ، إن كنتما قررتما الطلاق ـــ لا سمح الله ـــ وأحب أن يقرأه أبواكما وأصدقاؤكما أيضاً ، وأن تفكرا جدياً في صيانة حياتكما الزوجية بكل ما تستطيعان وأن تمتثلا قول الله تعالى ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ﴾ .

وبعد ذلك ليفكر الزوج كثيراً فيما سيفعله من أبغض الحلال (الطلاق) وما سيجُرُّ على الزوجة من سوء عاقبة وبخاصة إن كان لا أهل لها ، وليفكر والد الزوجة أيضاً كثيراً كيف يتصرف إن كان ممن يعقلون ولهم حمية ومروءة ،

وإليكم الخبر (القصة)كما نشرتها جريدة تشرين تحت عنوان : (**اعترافات فتاة ليل**) : فاقرأه في الهامش .[1]

تحذير وتنبيه : من المكفرات !!

وقبل أن أنتقل بكما – عزيزي الزوجين – إلى الفصل التالي (الرابطة القوية) أحذركما أشد التحذير مما يجري على ألسنة كثير من الناس من التلفظ بألفاظ مكفرة ، والتي ينطق بها السفهاء ، ومن لا خلاق لهم إما في حالة الغضب أو في حالة السخرية مستهينين بذلك بجناب الحق سبحانه أو بجناب الأنبياء ، أو مستهينين بالدين وشعائره ، ففضلاً عن أنها تحبط العمل الصالح ، وتنسفه من أساسه ، لمن عمل صالحاً ، وتجعل المتلفظ بالكفر مرتداً عن دينه [1]، قد خسر الإيمان والعمل الصالح ،

---

[1] **اعترافات فتاة ليل**: تقول منى أو (رشا) دخلت عالم الليل وكان عمري ٢٣ عاماً كنت أعيش حياة مستقرة مع زوج مناسب اعتقدت أنه رجل أعمال ناجح لكني اكتشفت أنه نَصَّاب..تزوجني للمتعة فقد استمر زواجنا حوالي سنة ونصف السنة ..كنت لا أراه إلا في المساء فقط وتحديداً على الفراش ..أما مسؤولياته كزوج فقد تنصل منها تماماً .. ضقت ذرعاً بهذه الحياة وطلبت منه الطلاق .. لكي أغلق هذا الفصل الأسود في حياتي لكنه كان يرفض دائماً أن يعطيني حريتي إلى أن جاءت لحظة وطلبت منه أن يطلقني وفوجئت به يرميني بيمين الطلاق .. من فرحتي كدت أعانقه ولكن كتمت الفرحة في صدري عدت إلى بيت أهلي أحمل حقيبة ملابسي لكن أبي رفض أن يستقبلني وقال لي بالحرف الواحد (حياتنا على قدنا ارجعي لجوزك) ووجدت نفسي في لحظة أعيش في الشارع، اسودت الدنيا في عيني فكرت أين أنام هذه الليلة و لم يكن في جيبي إلا القليل .. تعرفت على سيدتين كبيرتين وذهبت معهما إلى شقة ونمت ليلتي وتغيرت حياتي في اليوم التالي . أول درس تعلمته من هاتين السيدتين أن أتنازل عن أشياء كثيرة حتى أستطيع أن أحصل على المال .. (أن أتخلى عن خجلي وإذا لزم الأمر عن الأدب أيضاً ..) وعند أول ملهى دخلته معهما بدأت أطبق ما تعلمته حرفياً منهما وأنفذه بالحرف الواحد ولأول مرة منذ سنوات أشعر بأن جيبي مليء بالأموال وأصبحت وجهاً مألوفاً بعد أيام قليلة من معظم الملاهي الليلية ولما دخلت الاحتراف كان يجب أن أختار اسماً حركياً أتعامل به مع الزبائن هذا هو جواز المرور للعمل في هذه المهنة، المهم أطلقت لنفسي اسم (رشا) وأصبحت معروفة بهذا الاسم واعتدت هذه الحياة رغم قسوتها !! مكسبي من الحرام يومياً أكثر من ألف دولار ولأنها أموال حرام سرعان ما كانت تتبخر في الهواء ولا أشعر بها .

تقول رشا : كنت أشعر بأنني أصبحت مدمنة فما أقسى أن يصبح الإنسان رخيصاً أمام نفسه والناس خسرت نفسي كامرأة وأصبح لي ملف في الآداب ومصيراً أسود ينتظرني ..**سامح الله أسرتي كان يهمهما أن أرحل بلا عودة فلا أبي يسأل عني ولا أمي تحاول أن تبحث عن ابنتها وكأني لست ابنتهما.. أما زوجي فقد اختفى تماماً بعد أن طلقني.. امرأة مثلي ماذا تفعل غير أن تنحرف وتسقط في دائرة الشيطان ؟!**

هذه أول سابقة في حياتي ولست عارفة ماذا يمكن أن يحصل بعد خروجي من السجن ؟!! نعم أنا نادمة وليت السنوات تعود بي إلى الوراء لكنت اخترت طريقاً شريفاً غير الذي سرت فيه وضيعت نفسي ومستقبلي !! اهـ من جريدة تشرين .بعددها المؤرخ ١٩/٧/ ٢٠٠٤والخبر لا يحتاج إلى تعليق ، وهو برسم الآباء والأمهات والأزواج والزوجات الذين يخشون الله ويخافون سوء الحساب . أبو يحيى

[1] – في الحقيقة ، فإن الردة عن الإسلام تحصل بعدة أمور ، منها ما يكون **ردة في الاعتقاد** ، ومنها ما يكون **ردة في الأقوال والأفعال** ، ومنها **ردة في ترك العبادات** ، وكل هذه الأمور مكفرة مخرجة للإنسان عن دين الإسلام والعياذ بالله تعالى، تستوجب العودة إلى حظيرة الإسلام بالشهادتين والتوبة النصوح ، وتجديد عقد الزواج إن كفر أحد الزوجين ، ولنفصل قليلاً . **فأما الردة في الاعتقاد** : فقد اتفق علماء

فإن هذه الألفاظ كذلك تفسخ عقد زواجه ، فلا تحِل امرأته له ، ويصبح حراماً عليها حتى يعود (الكافر) منهما إلى حظيرة الإيمان فيجدِّد إسلامه بتوبته النصوحة،ويعلن الشهادتين من جديد، نادماً على ما فعل، ثم يعقد زواجه من جديد على امرأته.

وقد اعتبر معظم الفقهاء ردة أحد الزوجين فسخاً للزواج ، (يعني أنه باستطاعتهما العود للحياة الزوجية بعد إيمان وإسلام من ارتد منهما بعقد زواج جديد) واعتبره بعض الفقهاء طلاقاً بائناً ، يحتسب من عدد الطلقات وعلى قول جمهور الفقهاء (معظمهم) فإن الأمر لا يحسب من عدد الطلقات ، بل تعود إليه بعد تجديد إسلامه بعقد زواج جديد، معتبراً فيه كل شروط العقد ..

المسلمين ، أن من أشرك بالله أو أنكر وجوده ، أو نفى صفة ثابتة من صفاته سبحانه في القرآن أو السنة الصحيحة لا يجهلها أمثاله ، أو أثبت لله سبحانه ولداً أو زوجة ، أو أنكر البعث والحساب أو الجنة والنار أو الملائكة والعذاب ، فهو كافر ، وكذا إن استخف بالله تعالى جاداً أو هازلاً فقد كفر . وكذلك يكفر من أنكر القرآن الكريم كله أو بعضه ، ولو آية منه .. وكذلك من اعتقد كذب النبي في بعض ما جاء به ومن اعتقد حل شيء مجمع على حرمته كالزنا والخمر والميسر والربا .. **وأما ردة الأقوال**: فهي كثيرة منها ماأجمع عليه علماء المسلمين أن من **سب الله تعالى** كفر سواء كان مازحاً أو جاداً أو هازلاً وفي ذلك يقول تعالى : {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ} (٦٥) {لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ} (٦٦) سورة التوبة ، وكذلك من سب الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن السب الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف، كاللعن والتقبيح ونحوه .. وكذلك من ألحق بالنبي صلى الله عليه وسلم نقصاً في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرض به ، أو شبهه بشيء على طريق السب له أو الازدراء أو تصغير شأنه أو العيب له ، فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل . وكذلك من سب نبياً متفقاً على نبوته ، وكذلك اتفق معظم الفقهاء على أن من سب السيدة **عائشة** أم المؤمنين رضي الله عنها أو طعن فيها فقد كفر ، لأنه نزل في حقها آيات من القرآن الكريم في سورة الأحزاب ، فمن طعن بها بعد ذلك فقد كذب صريح القرآن، ومن كذبه فقد كفر . أو كفر الصحابة أو الخلفاء الأربعة ومن أنكر إسلام العشرة ، أو إسلام جميع الصحابة ، أو كفر الخلفاء الأربعة أو واحداً منهم فقد كفر .

مسألة : هل يكفر من قال لغيرة ، يا كافر ؟ اختلف العلماء في ذلك، وقد فسر بعض العلماء المعاصرين أن لفظ الكفر الوارد في كثير من الأحاديث، كالحلف بغير الله ، والطعن في النسب، والنياحة على الميت، وقتال المؤمن وسبابه، وكل ذلك وما شابهه بأنه مجرد كفر نعمة ، لا كفر ردة وإشراك . **ومن ردة الأقوال** : ردة الاعتقاد ، إذا أفصح صاحبها بلسانه فقد صارت من ردة الأقوال ، فإذا كتمها فهو منافق متروك أمره إلى الله وحرص بعض علماء الحنابلة والمالكية بأن من وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم باليتيم (مستصغراً محتقراً) أو بالقبح يقتل ، وكذلك قالوا يقتل من لعن العدالة أو الزواج أو لعن معلم الصبيان القرآن أو لعن العرب ، وقال بعض الحنفية يكفر منكر الأحاديث المتواترة . وكذلك كل من ضلل الأمة بأقواله . **أما كفر الأفعال** : فإن مما يوجب كفر المسلم إلقاء المسلم المصحف في محل قذر ، ومثله الحديث ، وكفر من رضي بالكفر وفرح به أو أهان الإسلام أو عظم الكفر وأهله . **وأما ردة الترك** : كمن امتنع مثلاً عن أداء الزكاة أو الصلاة جاحداً لهما أو لأحدهما فقد كفر وهل يقتل تارك الصلاة حداً أو كفراً مذهب كثير من العلماء منهم الإمام أحمد والأوزاعي يقتل كفراً كما يقتل المرتد والزنديق، وقال فريق آخر منهم الشافعي ومالك يقتل حداً (عقوبة) لا كفراً ، وقد فصل القول في أحكام الردة والمرتد، وحكم أمواله ، وأولاده وزوجته الأستاذ نعمان السامرائي في كتابه القيم (أحكام المرتد في الشريعة الإسلامية) نشر دار العربية بيروت .